الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزراة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمَّد لمين دباغين سطيف 2

كلية العلوم الإنسانيَّة والاجتماعية

قسم التَّاريخ والأثار

مطبوعة بيداغوجية مقدمة لطلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ

خاصة بمقياس

تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي والأندلس

22-898هـ/643-1492م

إعداد الدكتور: خالد حموم

السنة الجامعيَّة: 1438-1439هـ/2017-2018م

– **مقدمة:**

يعتبر تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصور الوسطى من المواضيع الهامَّة التي لا يمكن لدارس التَّاريخ أن يستغني عنها، فكنا دائمًا ولا زلنا نتساءل كيف دخل الإسلام لبلاد المغرب والأندلس ؟ ومتى كان دخوله ؟ ومن قام بفتح هذين القطرين ؟ كما نتساءل عن أهم الدول التي ظهرت ببلاد المغرب والأندلس بعد الفتح وعصر الولاة ؟

وأحاول من خلال هذه المطبوعة البيداغوجية الموجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ، لملمة هذا الموضوع الذي لديه حيز جغرافي كبير، فبلاد المغرب تمتد من الحدود المصرية شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا ومن البحر المتوسط شمالًا إلى الصحراء الكبرى جنوبًا بالإضافة إلى جزر البحر الأبيض المتوسط كصقلية والجزائر الشرقية (مَيورقة، مِنورقة، يابسة) وبلاد الأندلس، ويدرس هذا الموضوع في مدَّة زمنية طويلة تمتد لحوالي ثمانية قرون من سنة 22هـ/643م وهو تاريخ بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بقيادة الصحابي الجليل عمرو بن العاص (رضي الله عنه) إلى سنة 898هـ/1492م وهو تاريخ سقوط غرناطة آخر قلاع المسلمين في الأندلس بيد ملكي قشتالة وأراغون فرديناند وإيزابيلا.

وتشمل هذه المدَّة من الدِّراسة مواضيع كثيرة وهي الفتح الإسلامي في المغرب والأندلس، عصر الولاة في المغرب والأندلس، الدُّول المستقلة عن المشرق والمتمثلة في الدَّولة المدراريَّة، والرستميَّة والإدريسيَّة، كما ندرس دولة الأغالبة التي كانت موالية للخلافة العباسيَّة في المشرق، ثمَّ الدَّولة العُبيديَّة (الفاطميَّة) التي وحدت كامل بلاد المغرب الإسلامي، والدَّولة الأمويَّة في الأندلس، ودويلات الطَّوائف في الأندلس، ثمَّ ندرس الدَّولة الزيريَّة في المغرب الإسلامي، والدَّولة الحمَّاديَّة في المغرب الأوسط، والدَّولة المرابطيَّة في المغرب والأندلس، ثمَّ الدَّولة الموحِّديَّة في المغرب والأندلس والتي وحدت هي الأخرى كامل بلاد المغرب الإسلامي، وتشمل الدِّراسة أيضًا الدُّول الثلاث التي ظهرت في المغرب بعد الموحِّدين وهي الدَّولة الحفصيَّة، والزيانيَّة، والمرينيَّة ونختم الدِّراسة بدولة بني نصر (بني الأحمر) في الأندلس. وخلال دراسة هذه الدُّول نتحدث عن جميع الجوانب السِّياسيَّة والإداريَّة والعسكريَّة والدِّينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ومن المؤكد أنَّ موضوع تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي والأندلس لا يدرس بمعزل عن باقي أصقاع الأرض مثل دول وممالك أوروبا وخاصةً بلاد المشرق الإسلامي التي تربطه بالمغرب والأندلس علاقة وطيدة وعلاقة تأثير وتأثر كبيرين في مختلف الميادين السِّياسيَّة والدِّينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

أمَّا المنهجيَّة التي تناولت بها الموضوع فتمثلت في السرد التَّاريخي للأحداث، وكانت عملية السرد اعتمادًا على المصادر وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التَّاريخيَّة، وتخلَّل هذا السرد منهج التَّحليل لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفيَّة، وكثفت من الاستشهاد بالنُّصوص في المتن والهامش إمَّا دعمًا لرأي أو مساندةً لاستنتاج ومن أجل تبسيط المعلومات وترسيخ الحقائق.

وفي الأخير أتمنى أن تفيد هذه المحاضرات الطلبة في الإطلاع على تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي والأندلس، وأن تنال رضاهم.

عنوان المحاضرة: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

– جغرافية بلاد المغرب:

كانت كلمة ليبيا أو لوبيا في التَّاريخ القديم تطلق على شمال إفريقيا عدا مصر، أي المنطقة الممتدة غرب مصر حتَّى بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) وقد أطلق عليها هذه التَّسمية المؤرخ الإغريقي هيرودوت وسمى أهلها باسم الليبيِّين تمييزًا لهم عمن جاورهم وراء خط الرمال، وفي الفترة التي سيطر الفينيقيون على هذه البلاد أطلقوا عليها كلمة أفري وعندما جاء الرومان أطلقوا اسم إفريقيا على إقليم تونس وحده ثمَّ عمموه بعد ذلك على القارة كلها وصارت تدعى قارة إفريقيا. كما أطلق الرومان اسم نوميديا على الجزائر حاليًا وما يليها غربًا أطلقوا عليه اسم موريطانيا وهو يشمل المغرب الأقصى وموريطانيا حاليًا. وعندما بدأ المسلمون فتوحاتهم في شمال إفريقيا خالفوا التَّسميات السابقة وأطلقوا على البلاد كلها لفظ المغرب للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي، ثمَّ نعتوا كل إقليم

باسم يرجع إلى بعده أو قربه من الشرق، فأطلقوا على إقليم تونس اسم المغرب الأدنى لدنوّه من الشرق، وسموا إقليم مراكش المغرب الأقصى لبعده عن المشرق، وأطلقوا على إقليم الجزائر اسم المغرب الأوسط لوقوعه بينهما وتوسط بعده عن المشرق الإسلامي. ولشدة ارتباط هذه الأقاليم الثلاثة ببعضها لم تكن هذه الحدود والفواصل طبيعية ولا هي قارة بل دومًا في مد وجزر حسب قوة حكومة كل إقليم أو ضعفها[1].

– العناصر السكانيَّة لبلاد المغرب قبل الفتح:

ضمَّ المجتمع المغربي مع بداية الفتوحات الإسلاميَّة ثلاثة عناصر رئيسية هي البربر سواءً البتر أو البرانس، والبيزنطيون وهم على الديانة المسيحيَّة، والأفارقة[2].

وقد أطلق الرومان ثمَّ المؤرخين المسلمين بعدهم تسمية البربر على سكان شمال إفريقيا، وهي كلمة هجينة تعبر عن مرحلة بدائية من التَّنظيم الاجتماعي ولا تعني أبدًا معنى الهمجية أو الوحشية، والتَّسميَّة الصحيحة لهم والتي سمو به أنفسهم هي الأمازيغ. أمَّا الأفارقة الذين كانوا أقليةً كانت بأيديهم التجارة وشؤون المال والوظائف المهمة والكبيرة كان ولائهم غالبًا لمن يسيطر على المنطقة ولبثوا حينًا من الدهر على ولاءهم للبيزنطيِّين وعنهم أخذوا المسيحيَّة ومظاهر الحضارة الرومانية، وقد دان بعض هؤلاء بالإسلام فيما بعد وتقلد بعضهم مسؤوليات إدارية وسياسية. وبالنِّسبة للتَّوزيع الجغرافي لهذه القبائل عشية الفتوحات الإسلامية فقد تمركزت القبائل البربريَّة في المناطق الداخليَّة لبلاد المغرب بينما سيطر البيزنطيون على السواحل، ولما قدم المسلمون اصطدم الفاتحين بالبربر والبيزنطيِّين

1- المراكشي: **المُعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، منشورات محمَّد علي بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1419هـ/1998م، ط1، ص248 وما بعدها ؛ محمَّد محمَّد زيتون: **المسلمون في المغرب والأندلس**، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م، ص5-6 ؛ يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2007م، ج1، ص13 وما بعدها.

2- بسام كامل عبد الرزاق شقدان: **تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م**، رسالة ماجستير في التَّاريخ، جامعة النَّجاح الوطنيَّة كلية الدِّراسات العليا، قسم التَّاريخ، نابلس، فلسطين، 2002م، ص138.

معًا، وكانت شدة البيزنطيّين على المسلمين أكثر من البربر، وقد دخلت أعداد كثيرة منهم في الإسلام تباعًا[3].

– **مراحل الفتح**: يمكن تقسيم مراحل فتح بلاد المغرب إلى ثلاث مراحل وهي:

1- مرحلة الاستكشاف ومحاولة الفتح (22-50هـ)/(643-650م)

2- مرحلة الاستقرار وبناء القيروان (50-55هـ)/(650-675م)

3- مرحلة التوغل واستكمال الفتح (55-92هـ)/(675-711م)

– **فتوحات عمرو بن العاص**:

– **أسباب الفتح الإسلامي لبلاد المغرب**: هناك أسباب عديدة أهمها:

– تأمين الحدود الغربية للدَّولة الإسلاميَّة الحديثة، حيث دعت الضرورة الحربية والي مصر الصحابي الجليل عمرو بن العاص (رضي الله عنه) إلى التوجه بنظره نحو الحدود الغربية لمصر تحديدًا لإقليم برقة لتأمين قاعدة المسلمين الجديدة بمصر الفسطاط من هجمات البيزنطيين[4].

– القضاء على أطماع البيزنطيين في استرجاع مصر من أيدي المسلمين، وهذا باستعمال بلاد المغرب منطلقًا لهجماتهم[5].

– رغبة الفاتحين بقيادة عمرو بن العاص في مواصلة الفتح لنشر الدِّين الإسلامي في بلاد المغرب، ولم يكن إصرار عمرو بن العاص على مواصلة الفتح التماسًا للغنائم التي تعود عليه وعلى جنده من الفتح كما يردد ويزعم المستشرقين ومن يرى رأيهم من المؤرخين[6].

3- موسى لقبال: **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 1981م، ط1، ص16 ؛ بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **المرجع السَّابق**، ص138.

4- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص18.

5- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ط4، ج1، ص121-122.

لما فتح عمرو بن العاص مصر سنة 20هـ/641م واتخذ من الفسطاط قاعدة لجيوشه، أرسل البعوث والسرايا والطلائع لاستكشاف بلاد المغرب، وللتعرف على سكانها فأرسل أول بعثة بقيادة عقبة بن نافع الفهري[7] الذي رجع إليه بأخبار مشجعة عن المنطقة وسكانها من قبيلة لواتة البربرية، فاتجه عمرو بن العاص بنفسه على رأس جيش ففتح مدينة برقة صلحًا على أساس قبول أهلها اللواتيِّين دفع جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار[8]، كما فتح عقبة بن نافع أيضًا مدينة زويلة صلحًا وكان هذا سنة 22هـ/643م، ثمَّ واصل عمرو الفتح بالقرب من الساحل حيث مواطن قبائل هوارة ونفوسة وفزان وزواغة في سرت، وطرابلس وصبراتة وأحرز فيها النجاح[9].

وعزم عمرو بن العاص على مواصلة الفتح عندما تكتمل عدته ويكثر جنوده، ويستطلع أيضًا رأي الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فكتب إليه يستأذنه في التقدم إلى إفريقية حيث قال "إنَّ الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل"، فكتب إليه الخليفة ينهاه عن مواصلة الفتح وقال له "ما هي بإفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت"[10].

6- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص8.

7- هو ابن خالة عمرو بن العاص (رضي الله عنه) ولد في أوائل الهجرة فاعتبر لذلك صحابي المولد، تولى إمارة جيش المسلمين في المغرب مرتين، المرة الأولى 50هـ-55هـ/670م-675م، والمرة الثَّانية 62هـ-64هـ/682م-684م. (انظر: الرقيق القيرواني: **تاريخ أفريقية والمغرب**، تقديم وتحقيق وتعليق، محمَّد زينهم محمَّد عزب، دار الفرجاني للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1994م، ط1، ص41، هامش1 ؛ مجهول: **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطِّباعة والنَّشر، الرباط، 2005، ط1، ص83-84).

8- يذكر ابن عبد الحكم أنَّ عمرو بن العاص خيَّر أهل لواتة بأن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم للفاتحين لقاء سداد الجزية المفروضة عليهم. (انظر: **فُتُوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطِّباعة والنَّشر، مصر، د.ت، ج1، ص229).

9- ابن عبد الحكم، **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص230-231 ؛ ابن الأثير: **الكامل في التَّاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1987م، ط1، مج2، ص428-429 .

10- ابن عبد الحكم، **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص232 ؛ ابن عذارى: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ط3، ج1، ص8.

وعن سبب رفض الخليفة عمر مواصلة الفتح يرجع إلى رغبته في التريث حتى تستقر الأمور ولأن ظروف الدَّولة الإسلامية الناشئة لا تسمح بفتح جبهات كثيرة للقتال مع العدوّ لقلة جيوش المسلمين آنذاك، ولأتساع مساحة بلاد المغرب، وطبيعة بلاد المغرب الجغرافية الصعبة، وطبيعة أهلها الذين يرفضون كل أنواع الاستعباد، بالإضافة إلى محاولة الروم في مصر نقض العهد مع المسلمين[11].

ورغم أنَّ نشاط عمرو في المنطقة لم يشتمل على معارك حاسمة، ولا على سياسة تهدف إلى الاستقرار الفعلي في بلاد المغرب، إلَّا أنَّه لم يغير الشيء الكثير من عقائد السكان ولا من ولاء أغلبهم إلَّا أنَّه قبل عودته إلى مصر ترك عقبة بن نافع في برقة داعيًا ومرشدًا إلى الإسلام، ومتخذًا من برقة قاعدة موالية للمسلمين[12].

– فتوحات عبد الله بن سعد بن أبي سرح:

في عهد ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري على مصر عام 25هـ/646م[13] استأذن الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أن يزحف على ما وراء البلاد الليبية في اتجاه إفريقية فأذن له، فأرسل ابن أبي سرح الكثير من الطلائع، بلغ تعداد بعضها عشرة آلاف جندي ولكنها لم تقدر على التوغل في إفريقية لكثرة أهلها، وقد تبين للمسلمين من هذه الطلائع معلومات توضح أنَّ هذا الأمر في حاجة إلى استعداد أكثر[14].

وفي سنة 27هـ/648م بعث الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بجيش كبير من المدينة لفتح بلاد المغرب وقاده من المدينة إلى مصر الحارث بن الحكم وفيه كثير من الصحابة، فتولى قيادة الجيش والي مصر ابن أبي سرح واتجه به ناحية المغرب الأدنى وانضم إليه جيش عقبة بن نافع الذي

11- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق** ج1، ص84.

12- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السابق**، ص14.

13- المالكي: **رياض النُّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسَّاكهم وسِيرٌ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، حقَّقه بشير البكوش، راجعه محمَّد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ط2، ج1، ص14.

14- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص15.

كان معسكرًا في برقة فاتجهت الجموع التي بلغت حوالي عشرون ألف مقاتل كلها لمحاربة الروم البيزنطيّين[15].

وقد تحاشى ابن أبي سرح في حملته هذه الهجوم على مدينة طرابلس التي نقضت العهد مع المسلمين وتحصن أهلها بها، فاتجه إلى مدينة عقوبة وعسكر بها وهي بالقرب من عاصمة جرجير، سبيطلة وهذا للقضاء على ملكهم في إفريقية، فخيره ابن أبي سرح بين قبول الإسلام أو الجزية وعندما رفض المقترحين التحم المسلمون في معركة حامية الوطيس مع الروم البيزنطيّين فنالوا منهم وقتلوا قائدهم جرجير، حيث قتله الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير، وقتلوا الكثير من جيشه الذي بلغ نحو مئة وعشرون ألف، كما منعوا فلوله من دخول عاصمتهم سبيطلة التي استولى عليها المسلمون[16].

فاضطر من بقي من الجيش البيزنطي عندما رأوا استبسال المسلمين في القتال إلى طلب الموادعة والمسالمة، واقترحوا على ابن أبي سرح دفع جزية سنوية مقدارها ثلاثمائة قنطار من الذهب[17] فقبل ابن أبي سرح الصلح وانسحب إلى الفسطاط، بعد أن قضى في هذه الحملة التي كسب فيها المسلمون غنائم وأموال كثيرة أربعة عشر شهرًا[18]، ووصل مصر سنة 28هـ/649م[19].

وبذلك تقلص نفوذ البيزنطيّين إلى الأطراف الشمالية حيث توجد مدينة قرطاجنة، رغم أنَّ ابن أبي سرح لم يترك واليًا مسلمًا أو حاميةً إسلامية أو يبني قاعدة إسلامية ينطلق منها المسلمون للفتح واكتفى باشتراطه على الروم أن تبقى المناطق التي استولى عليها المسلمون قبل الصلح بأيديهم.

15- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص8-9 ؛ ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، المسمَّى **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2000م، ج4، ص236.

16- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص9 وما بعدها.

17- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص12؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص236.

18- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص27 .

19- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص22. (وقد عُرفت هذه المعركة بمعركة سبيطلة أومعركة العبادلة (حملة العبادلة) لمشاركة الكثير من الصحابة الذين تبدأ أسماءهم باسم عبد الله مثل عبد الله بن أبي سرح قائد المعركة وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم).

– فتوحات معاوية بن حُديج الكندي:

أسند الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) أمر مواصلة الفتوح في بلاد المغرب إلى معاوية بن حُديج الكندي سنة 40هـ/660م[20]، فغزا إفريقية سنة 43هـ/663م وتمكن من فتح بعض المدن وغنم غنائم عظيمة[21]، ثمَّ نظم غزوة أخرى سنة 45هـ/665م حيث زوده الخليفة معاوية بجيش مكون من عشرة آلاف جندي فيه الكثير من الصحابة والتابعين[22]، وقد ساعدت مجموعة من الظروف على مواصلة الفتح منها سخط أهالي إفريقية من الضرائب الإضافية التي كانت تفرض عليهم من قبل الحاكم الجديد الذي ولاه هرقل على إفريقية، وكذلك ظهور صراع بين هذا الأخير وحاكم إفريقية السابق الذي عينه أهلها بعد مقتل جرجير، والذي التجأ إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان لينجده ضدَّ خصمه[23]، فاغتنم قائد المغرب ابن حُديج الفرصة ونزل بجيش في قمونية التي اتخذها معسكرًا للفتح، ثمَّ بعث إلى جلولاء عبد الملك بن مروان في ألف فارس ففتحها وغنموا ما فيها[24]، وتصدى جيش المسلمين وألحقوا الهزيمة بالجيش الذي بعثه صاحب القسطنطينية في البحر المكون من ثلاثين ألف مقاتل قرب قصر الأجم بإفريقية[25].

ثمَّ تمكن جيش المسلمين من فتح مدينة سوسة وبنزرت، وغنم غنائم كثيرة وعاد إلى قمونية وعسكر بها[26]، وبذلك بدأت تظهر جليًا فكرة اتخاذ المسلمين لقاعدة ارتكاز تنطلق منها جيوشهم للفتح، وقد تولى تنفيذ الفكرة فيما بعد الفاتح عقبة بن نافع[27].

20- المالكي، **المصدر السابق**، ج1، ص28 .

21- ابن عبد الحكم، **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص260 .

22- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج1، ص16.

23- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السابق**، ص23-24.

24- ابن عبد الحكم، **المصدر السابق**، ج1، ص260-261 ؛ ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج1، ص16.

25- ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص236 ؛ محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السابق**، ص25.

26- المالكي، **المصدر السابق**، ج1، ص30 .

27- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السابق**، ص25.

– فتوحات عقبة بن نافع الفهري (الولاية الأولى) 50–55هـ/670–675م:

لا شك أنَّ اختيار عقبة بن نافع لقيادة الفتح كان موفقًا على اعتبار أنَّه رجل شارك في الفتوحات منذ بداياتها الأولى كما تولى أمر برقة منذ فتحها المسلمون وكان خير داعية للإسلام، فقد عرفته هذه الأرض منذ أكثر من ربع قرن مجاهدًا ومرابطًا وداعيةً[28].

وعلى عكس غيره من قادة الفتح فقد سلك عقبة في فتوحاته طريق الصحراء وتجنب الطريق الساحلي الذي سلكه أغلب قادة الفتح، وأصبح لشهرته يُعرف بالطريق الأعظم عند ابن عبد الحكم والجادة عند البكري، فأذعنت لدعوته قبائل لواتة ومزاتة، واستولى على مدينة غدامس وقفصة وتوزر من بلاد الجريد[29].

ومن أهم أعماله بناء مدينة القيروان سنة 50هـ/670م[30] لتدعيم حركة الفتح ولاستقرار الجند في قاعدة تنطلق منها العمليات العسكرية، وبدأ في بنائها سنة خمسون للهجرة[31]، وقد بنيت في موضع بين الساحل والداخل لكي يأمن من خطر البيزنطيِّين في الساحل، ويتقي تحركات القبائل البربرية التي لم تُسلم بعد في المناطق الداخلية[32].

وقد بيَّن عقبة لأصحابه أهمية وضرورة بناء مدينة القيروان كي يتخذها المسلمون قاعدةً لهم في قوله "إنَّ إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين

28- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السابق**، ص26.

29- موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، ص29.

30- مدينة عظيمة بافريقية، وهي أجلُّ مدينة بأرض المغرب جمعت بين طيب الهواء، وعذوبة الماء وجميع المحاسن، اختطها عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ/670م، وكان فيها من العلماء والفقهاء ما كان في البصرة بالعراق. (انظر: ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، تحقيق محمَّد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م، ص81 ؛ الزهري: **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت، ص109 وما بعدها ؛ الدبَّاغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلَّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبُّوح، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمديَّة، مصر، 1968م، ط1، ج1، ص6 وما بعدها).

31- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج3، ص320.

32- موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، ص30.

الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتَّخذوا بها مدينة تكون عزًّا للإسلام إلى آخر الدهر"[1].

- فتوحات أبو المهاجر دينار:

عندما أوشك عقبة بن نافع على الانتهاء من تأسيس القيروان لكي يواصل الفتح ويزيل سلطان الروم من شمال بلاد المغرب، ثمَّ يسير في نشر الإسلام بين البربر حسب خطته[2]، فوجئ بعزله سنة 55هـ/675م[3]، حيث عزله والي مصر والمغرب الصحابي الجليل مسلمة بن مخلد الأنصاري، وعيَّن مولاه أبو المهاجر دينار[4] واليًا جديدًا على بلاد المغرب[5].

وقد أساء أبو المهاجر عزل عقبة حيث قام بسجنه وبالغ في إيذائه معنويًا حسب ما يذكر ابن عبد الحكم وابن عذارى[6]، وهجر مدينة القيروان وأخلاها من سكانها، وبنا مدينة جديدة تبعد عنها بميلين وردت بأسماء مختلفة تاكيروان، تاكرونة، تكرور، دكرور وغيرها[7]، وقد شيَّدها وسط بلاد البربر

1- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص19 .

2- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص29 .

3- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص21 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص237. (غير أنَّ ابن عبد الحكم يقول أنَّ أبا المهاجر دينار تولى أمر بلاد المغرب سنة 51هـ/671م، بينما يرى المالكي أنَّه كان سنة 57هـ/677م، والأرجَّح ما أثبتناه في المتن بالنظر لصيرورة الأحداث التَّاريخيَّة). (انظر: **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص265 ؛ **رياض النُّفوس**، ج1، ص33).

4- من التابعين، ولاه مولاه مسلمة بن مخلد الأنصاري إمارة جيش المسلمين بالمغرب، وقد بقي بها مدة سبع سنوات من سنة 55هـ إلى 62هـ/675م-682م، استشهد في معركة ضدَّ الروم، رفقة عقبة بن نافع في منطقة تهودة سنة 62هـ/682م. (انظر: المالكي، **رياض النُّفوس**، ج1، ص31 وما بعدها ؛ ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج3، ص450 وما بعدها).

5- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص31 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص237 .

6- **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص265-266 ؛ **البيان المغرب**، ج1، ص22.

7- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص22. المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص31-32 ؛ موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص35-36.

يقال في جبل وسلات مسكن قبيلة مزاتة البربرية، وبالتعاون مع البربر عمَّر مبانيها وجدَّ في تشيِّيدها[1].

كما جاء هذا الوالي بسياسة جديدة، حيث قام باستمالة البربر عن طريق المعاملة الحسنة، وصالح زعيم قبيلة أوربة البرنسيَّة كسيلة بن لمزم، وأحسن إليه وأقنعه للدخول في الإسلام، مع جموع كثيرة من البربر[2]، فسهَّل له بذلك مواصلة الفتح الإسلامي بالمغرب الأدنى والدخول إلى أرض المغرب الأوسط.

ويعتبر أبو المهاجر دينار أوَّل والي لبلاد المغرب وطئت خيله أرض المغرب الأوسط[3]، فبعد بناءه لمدينته الجديدة تاكيروان في حدود سنة 55هـ/675م والتي اتخذها عاصمةً جديدة لبلاد المغرب بدلًا عن قيروان عقبة[4]، واستمالته للبربر ضدَّ الروم البيزنطيِّين[5]، انطلقت جيوشه منها صوب المغرب الأوسط لمحاولة فتحه.

1- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص36.

2- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص33 ؛ الدبَّاغ، **المصدر السَّابق**، ج1، ص46 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص237.

3- السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، 2008م، ص130.

4- يذكر ابن عبد الحكم وابن عذارى أنَّ أبا المهاجر كره أن ينزل بمدينة عقبة القيروان، فاختط مدينة جديدة بدلًا عنها واستقر بها. (انظر: **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص266 ؛ **البيان المُغرب** ج1، ص22).

5- استطاع أبو المهاجر تحطيم الحلف الذي كان بين الروم وقبيلة أوربة البربريَّة، بفضل معاملته الحسنة للبربر وزعيمهم كسيلة بن لمزم، فدخلت أعداد كثيرة من بربر المغرب الأوسط في الإسلام وانضمت إلى جيش الفتح. (انظر: السلاوي، أحمد بن خالد النَّاصري: **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر النَّاصري، محمَّد النَّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ج1، ص37 ؛ السيد عبد العزيز سالم، **المرجع السَّابق**، ص130).

وتذكر المصادر التَّاريخيَّة حملته على المغرب الأوسط باختصار شديد[1]، حيث يذكر كل من المالكي والدبَّاغ بأنَّه خرج بجيوشه ناحية المغرب الأوسط وفتح كلَّ ما مر به، حتَّى انتهى إلى العيون التي تُسمَّى اليوم عيون أبي المهاجر نحو مدينة تلمسان[2].

والمؤكد أنَّ جيش أبا المهاجر خلال حملته هذه، مرَّ بالمناطق الداخليَّة للمغرب الأوسط، ولم يكن مروره من جهة الساحل لأنَّ الروم كانوا يملكون سواحل بلاد المغرب، فيجب على أبا المهاجر أن يقوم بتجنب الدخول في مواجهة البربر والروم معًا.

وقد مرَّ على مدينة بسكرة ونواحيها، وحارب بعض الولاة ورؤساء القبائل في جهات قسنطينة وانتصر عليهم وذلك عام 59هـ/679م، واتخذ مدينة ميلة مركزًا لعملياته الحربيَّة[3] وابتنى بها دار الإمارة وجعلها ملاصقة للجامع، ومكث بها سنتين[4]، ثمَّ عاد إلى المغرب الأدنى سنة 61هـ/680م واستقرَّ بعاصمته الجديدة تاكيروان عامًا واحدً حتَّى عزل[5].

ونشير إلى أنَّ أبا المهاجر توغل في بلاد المغرب الأوسط ووصل حتَّى تلمسان إلى أنَّ فتح هذه البلاد لم يكن فتحًا مؤزرًا وحقيقيًا رغم مكوثه حوالي عامين بمدينة ميلة، لأنَّ جيوشه عادت إلى المغرب الأدنى ولم تستقر في المغرب الأوسط لتدعيم عملية الفتح لدى قبائل البربر جميعًا.

1- تمرُّ المصادر التَّاريخيَّة مرًا سريعًا على ولاية أبي المهاجر، إمَّا لأنَّها وقعت بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثَّانيَّة، أو بسبب استياء الرواة من تصرفات أبي المهاجر وإساءته لعقبة. (انظر: السيد عبد العزيز سالم، **المرجع السَّابق**، ص129).

2- **رياض النُّفوس**، ج1، ص33 ؛ **معالم الإيمان**، ج1، ص46.

3- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص127 ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص86.

4- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص127-128.

5- السيد عبد العزيز سالم، **المرجع السَّابق**، ص130.

– فتوحات عقبة بن نافع (الولاية الثَّانيَّة) 62–64هـ/682–684م:

عندما تولى يزيد بن معاوية خلافة المسلمين، واستتب له الأمر باستقرار أوضاع الخلافة الأمويَّة بالمشرق ولو نسبيًا، فكر في بعث الفتوحات الإسلاميَّة في بلاد المغرب من جديد، فقام بعزل أبي المهاجر دينار وإعادة عقبة بن نافع لولاية المغرب وهذا في سنة 62هـ/682م[1].

فسارع عقبة بعد تعيِّينه هذا إلى إعادة بناء القيروان ونقل النَّاس إليها، كما قام بتوثيق أبي المهاجر دينار بالحديد[2]، ثمَّ تجهز لمحاربة الروم ومواصلة الفتوحات الإسلاميَّة في بلاد المغرب، وقام بتجهيز حملة كبيرة ناحية المغرب الأوسط.

وانطلق في حملته هذه من قاعدة الفتح القيروان، بعد أن استخلف عليها زُهير بن قيس البلوي[3]، بجيش قوامه خمسة عشر ألف جندي[4]، لفتح بلاد المغرب الأوسط ومقاومة الروم البيزنطيِّين. فدخل بجيشه هذا إلى المغرب الأوسط والروم يهربون من طريقه يمينًا وشمالًا، إلى أن وصل إلى مدينة باغاية[5] شرق جبل الأوراس قرب مدينة خنشلة، ففتحها بعد أن حاصرها وقاتل الروم المتواجدين بها

1- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص33-34 ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج3، ص450 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص237.

2- ابن عبد الحكم، **المصدر السَّابق**، ج1، ص267 ؛ المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص34.

3- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج3، ص450 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص23. (غير أنَّ ابن عبد الحكم والمالكي والدبَّاغ يذكران أنَّ عقبة استخلف بالقيروان مع زهير بن قيس البلوي، عمر بن علي القرشي) . (انظر: **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص267 ؛ **رياض النُّفوس**، ج1، ص34 ؛ **معالم الإيمان**، ج1، ص47-48).

4- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص128.

5- مدينة كبيرة عليها سوران من حجر، بها أسواق، ولها واد يجري إليها من جهة القِبلة، وأكثر غلاتها الحنطة والشعير، منها إلى قسنطينة ثلاث مراحل، ومنها إلى مدينتي طبنة وقسطيلية أربع مراحل. وحاليًا المدينة تدعى باغاي وهي بلدية تابعة لولاية خنشلة وتقع في الشمال منها. (انظر: الإدريسي: **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1983م، ص177-178).

قتالًا شديدًا[1]، وغنم منهم خيلًا كثيرًا لم يرَّ المسلمون أصلب منها ولا أسرع فهي نتاج جبل أوراس المطل عليها[2].

ومنها توجه إلى مدينة لمبيس (لمبيز) ففتحها بعد قتال عنيف مع الروم وأصاب بها غنائم كثيرة[3]، ثمَّ ارتحل إلى بلاد الزاب بالتَّحديد إلى مدينة أذنة التي كان حولها ثلاثمائة قرية كلها عامرة، فلمَّا بلغ أهلها أنَّ عقبة قادمًا إليهم لجئوا إلى حصنهم، وهرب أغلبهم إلى الجبال والأماكن الوعرة، ونزل عقبة على وادٍ يبعد عن المدينة ثلاثة أميال، ولمَّا تجهز الروم في المساء نزلوا بدورهم بجيش ضخم أسفل الوادي، ولكن لم يحدث القتال بين الفريقين في الليل، وسهر الجيشين في تلك الليلة خوفًا من مباغتة أحدهم للأخر، فسمي ذلك الوادي "وادي سهر"، وعندما صلى عقبة الصبح أمر المسلمين بقتالهم، فحدثت معركة ضارية بينهما، انتهت بانتصار المسلمين والقضاء على الروم في بلاد الزاب[4].

ثمَّ ارتحل عقبة وجيشه إلى الجهة الغربيَّة للمغرب الأوسط، ونزل بمدينة تيهرت وقاتل فيها الروم والبربر معًا، وانتصر عليهم، ثمَّ واصل طريقه ناحية تلمسان ففتحها[5]، ومنها اتجه إلى المغرب الأقصى فوصل طنجة، ثمَّ قاتل البربر في السوس الأدنى والأقصى[6].

1- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص34 ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج3، ص451 ؛ الدبَّاغ، **المصدر السَّابق**، ج1، ص48.

2- الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص42 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص24 ؛ عبد الرَّحمان الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص128.

3- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص128 ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص87.

4- الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص42-43 ؛ المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص36-37 ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج3، ص451 ؛ الدبَّاغ، **المصدر السَّابق**، ج1، ص49.

5- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص129 ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص87.

6- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج3، ص451 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص25 وما بعدها ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص237.

وفي طريق عودته من المغرب الأقصى استشهد عقبة بن نافع وجنده وأبي المهاجر دينار سنة 64هـ/684م في منطقة تهودة بالقرب من بسكرة بالمغرب الأوسط[1].

- فتوحات زهير بن قيس البلوي:

استخلفه عقبة بن نافع على القيروان لمَّا خرج في حملته الكبرى على بلاد المغرب، ولكنه تراجع إلى برقة عندما استولى كسيلة على القيروان مرابطًا بها، ولمَّا تولى عبد الملك بن مروان الخلافة عيَّنه قائدًا لجيوش المسلمين في بلاد المغرب في حدود سنة 67هـ/686م[2]، فجهز زهير جيش كبير قدره ستة آلاف جندي[3]، وتوجه لقتال كسيلة في القيروان، ولكن هذا الأخير عسكر في مدينة ممس جنوب القيروان، والتقى الجمعان هناك ودار قتال شديد بينهما، فانهزم في آخر المطاف كسيلة وقتل في المعركة، فانصرف زهير إلى القيروان فأقام بها مدة يسيرة[4].

وبعدما آمن النَّاس في القيروان ترك عسكرًا كثيرًا من أصحابه فيها، ورحل في جمع آخر قاصدًا مدينة برقة ليخلص أسرى المسلمين من أيدي الروم الذين أغاروا على برقة في حملة بحرية خرجت من صقلية مستغلين غياب زهير وجيشه الذي كان يقاتل كسيلة في القيروان، ولمَّا وصل برقة باشر القتال واشتد الأمر وعظم الخطب فتكاثر الروم عليه فقتلوا زهيرًا ومن معه في ساحل درنة ولم ينج منهم أحد، وعاد الروم بما غنموا إلى القسطنطينية[5].

1- عن كيفية استشهاد عقبة وجنده. (انظر: المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص39 وما بعدها ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج3، ص451-452 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص28 وما بعدها ؛ الدبَّاغ، **المصدر السَّابق**، ج1، ص51 وما بعدها ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص237-238).

2- الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص44 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص238.

3- يذكر المالكي أنَّ جيش زهير يضم ألفين من البربر وأربعة آلاف من العرب. (انظر: **رياض النُّفوس**، ج1، ص45).

4- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص45 .

5- الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص44-46.

– فتوحات حسَّان بن النُّعمان الغساني:

تولى حسَّان بن النُّعمان قيادة جيش المسلمين في بلاد المغرب بعهد من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في حدود سنة 73هـ/692م، ويختلف المؤرخون كثيرًا في تاريخ تعيِّينه هذا[1]، كما يختلفون في تاريخ بداية حملته العسكريَّة ضدَّ الروم بقرطاجنة والكاهنة[2] بمنطقة الأوراس بالمغرب الأوسط، والأرجح أنَّه بدأ يحارب الروم بقرطاجنة سنة 76هـ/695م[3] حيث قدم إليهم بجيش ضخم قوامه أربعين ألف جندي[4]، فتمكن من القضاء عليهم وتبديد شملهم، وتخريب مدينتهم، ففروا ناحية مدينة باجة، وفرَّ بربر تلك المنطقة إلى ناحية بونة[5].

1- اختلف المؤرخون في تاريخ تعيِّين حسان بن النعمان واليًا على بلاد المغرب، حيث يرى المالكي أنَّه كان سنة 69هـ/688م، بينما يرى ابن عبد الحكم أنَّه كان سنة 73هـ/692م، في حين يرى ابن الأثير أنَّه كان سنة 74هـ/693م، ويذكر ابن عذارى أنَّه كان سنة 78هـ/697م. والأرجح هو رأي ابن عبد الحكم، لأنَّ التَّاريخ الذي يذكره المالكي مستبعد كون الأوضاع في بلاد المشرق كانت آنذاك مضطربة جدًا، حيث استفحل أمر الخوارج، وكذلك ثورة عبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما)، فبعد قضاء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على ثورة ابن الزبير في حدود سنة 73هـ/692م واستتب له الأمر، بعث حسان لمواصلة الفتح في بلاد المغرب في نفس السنة. (انظر: **فُتوح مصر والمغرب**، ج1، ص269 ؛ **رياض النُّفوس**، ج1، ص48 ؛ **الكامل في التَّاريخ**، مج4، ص135 ؛ **البيان المغرب**، ج1، ص34).

2- هي زعيمة البربر بعد كسيلة الأوربي، تدعى دهيا بنت ماتية بن تيفات وهي من قبيلة جراوة البترية، كانت تقيم بعاصمتها تيسدروس قرب مدينة خنشلة، وكانت تخبر قومها بأشياء من الغيب لهذا سميت الكاهنة، وكان جميع من بإفريقية من الروم منها خائفون، وجميع البربر لها مطيعون. (انظر: الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص46؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص135 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص35 ؛ السيد عبد العزيز سالم، **المرجع السَّابق**، ص158 ؛ عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص148).

3- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص134 ؛ صالح بن قربة وآخرون: **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني للدِّراسات والبحث في الحركة الوطنيَّة وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص25-26.

4- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص34. (ويذكر ابن الأثير أنَّه لم يدخل افريقيَّة قط جيش مثله). (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، مج4، ص135).

5- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، ج4، ص135.

وفيما يخص مقاومته لزعيمة البربر بعد كسيلة، الكاهنة رئيسة قبيلة جراوة بناحية الأوراس بالمغرب الأوسط، فقد كان في نفس السنة، حيث عاد حسَّان بجيشه إلى القيروان بعد هزيمته للروم بقرطاجنة، لإعادة تنظيم صفوفه، ولمَّا جهز جيشه من جديد قال لأهل القيروان "دلوني على أعظم من بقي من ملوك إفريقيَّة"، فدلوه على امرأة من البربر تدعى الكاهنة[1]، فتجهز لحربها بجيش جرار، وكانت أوَّل حملة عسكرية لحسَّان على بلاد المغرب الأوسط.

ولمَّا سمعت الكاهنة بمقدمه جمعت جيش ضخم وعسكرت بمدينة باغاية، وأخرجت منها الروم ثمَّ هدمتها، ضنًا منها أنَّه يريد التَّحصن بها[2]، أمَّا حسَّان فقد أكمل طريقه إلى المغرب الأوسط وعسكر بوادي مسكيانة[3]، فقيل له أنَّ الكاهنة قد أقبلت في عدد لا يحصيه إلَّا الله تعالى، فقال "دلوني على ماء يسع العسكر الذي أنا فيه[4]"، فدلوه على نهر أو واد نيني[5]، فزحفت إليه الكاهنة بجيوشها حتَّى أتت أسفل النهر، وحسَّان كان في أعلاه، وفي صباح الغد حدثت معركة مهولة بين الجيشين، حيث عظم البلاء وظنَّ المسلمون أنَّه الفناء، وانهزم حسَّان وجنده، في ضفاف هذا النهر الذي أصبح يدعى بنهر البلاء[6]، كما سُمي وادي العَذَارَى[7]، وانسحب ناحية القيروان وطاردته

1- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص49-50 ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص135 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص35.

2- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص50.

3- مسكيانة هي قرية عامرة قديمة، قريبة من مدينة باغاية، بها زروع ومساكن وعيون، ولها سوق ممتدة كالسماط، وهي أكبر من مدينة مرماجنة القريبة منها. واليوم هي دائرة تابعة لولاية أم البواقي، تقع في أقصى الجنوب الشرقي منها. (انظر: الإدريسي، **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس**، ص195).

4- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص50.

5- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص136. (ويذكر الرقيق القيرواني أنَّ هذا النهر يسمى بلسان البربر "بلى"). (انظر: **تاريخ أفريقية والمغرب**، ص46-47). (وتوجد اليوم في جنوب شرق ولاية أم البواقي بلدية تدعى واد نيني، وهي قريبة من دائرة مسكيانة).

6- ابن عبد الحكم، **المصدر السَّابق**، ج1، ص270 ؛ المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص51.

7- الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص47 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص36.

الكاهنة حتَّى خرج من مدينة قابس بالمغرب الأدنى، فالتجأ حسَّان إلى برقة، وبقي بها خمس سنين[1] ينتظر المدَّد من الخلافة الأمويَّة بالمشرق، وخلالها بنا قصورًا سميت بقصور حسَّان[2].

وقد أسِرت الكاهنة في هذه المعركة ثمانين رجلًا من المسلمين، أطلقت سراحهم جميعًا ما عدا خالد بن يزيد العبسي[3] الذي اتخذته والدًا لها. وملكت بذلك الكاهنة بلاد المغرب مدَّة خمس سنين، وقد ارتكبت خلال هذه المدَّة خطأً كبيرًا، حيث قامت بتحطيم وتخريب بلاد المغرب، ظنًا منها أنَّ المسلمين قدموا للاستيلاء على خيرات هذه البلاد، ويذكر ابن عذارى أنَّها قالت للبربر: "إنَّ العرب (يُقصد هنا المسلمين ككل) إنَّما يطلبون من إفريقيَّة المدائن والذهب والفضَّة، ونحن إنَّما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلَّا خراب بلاد إفريقية كلها، حتَّى ييئس منها العرب، فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدَّهر"[4]. فتضرَّر البربر من سياستها هذه، وسخطوا عليها، وبدأو في تغيِّير ولائهم لحسَّان والتَّخلي عن نصرتها، ويذكر الرقيق القيرواني أنَّه لجأ أهل مدن قفصة وقسطيلية ونفزاوة وحوالي ثلاثمائة رجل من النَّصارى يستغيثون إليه من الكاهنة فيما نزل بهم من خراب[5]، كما يذكر ابن عذارى أنَّه خرج يومئذٍ من المغرب خلق كثير من النَّصارى والأفارقة، مستغيثين ممَّا نزل بهم من الكاهنة، فتفرقوا على الأندلس وسائر جزر البحر الرومي[6].

1- الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص47 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص36 ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص136. (غير أنَّ المالكي يقول أنَّ حسَّان عسكر بناحية برقة ينتظر المدد مدَّة ثلاث سنين فقط، والأرجَّح ما أثبتناه في المتن). (انظر: **رياض النُّفوس**، ج1، ص51).

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص136 ؛ السَّلاوي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص43.

3- اختلف المؤرخون في نسبه بين العبسي والقيسي، وبين اسمه واسم أبيه فهل هو خالد بن يزيد أو يزيد بن خالد. أعجبت الكاهنة بجماله وشجعاته، فتبنته والدًا لها، حيث عمدت إلى دقيق الشعير فلثَّته بزيت، وجعلته على ثديها ودعت ولديها وقالت كلا معه على ثدييَّ ففعلا، فقالت قد صرتم إخوة. (انظر: ابن عبد الحكم، **المصدر السَّابق**، ج1، ص270 ؛ الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص47 ؛ المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص51 ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص136 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص37 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص239).

4- **البيان المغرب**، ج1، ص36.

5- **تاريخ أفريقية والمغرب**، ص48-49.

6- **البيان المغرب**، ج1، ص36-37.

وفي تلك الأثناء كان حسَّان مرابطًا بمدينة برقة، ويعد العدة للزحف على المغرب الأوسط من جديد والقضاء على الكاهنة، وقد عمد إلى إرسال رجل يثق به إلى خالد بن يزيد العبسي أسير الكاهنة، لكي يتقصى له أمرها وأحوال بلادها ورعيتها، وقد تمكن من الحصول على معلومات مهمَّة تتمثل بالخصوص في سخط الرعية من سياسة الكاهنة التي أثقلت كاهلهم[1].

ولمَّا وصله المدد من المشرق في حدود سنة 81هـ/700م وأصبحت الظروف كلها في صالحه وضدَّ الكاهنة[2]، انطلق في حملة ثانية على المغرب الأوسط بجيش جرار مصمِّمًا على القضاء عليها وعندما علمت الكاهنة بمقدمه رحلت من جبل أوراس في خلق عظيم، وأوصت خالد بن يزيد العبسي أن يستأمن لولديها عند حسَّان وأن يُقبلا عليه، وتنبأت بمقتلها، ولكن قررت المقاومة حتَّى الموت[3].

ويذكر المالكي أنَّ الجمعان التقيا ناحية قابس، فانهزمت الكاهنة، وفرت مع من بقي من جندها إلى قلعة بُسْر لكي تتحصن بها ولكنها وجدتها مخربة، فانتقلت ناحية جبال الأوراس، ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده، يحمل بين يديها على جمل، ولحقها جند حسان، فاقتتلا الجمعان وانهزمت الكاهنة وقتلت عند بئر سماها المسلمون "بئر الكاهنة"[4].

أمَّا البربر فقد طلبوا الأمان من حسَّان، فأمنهم واشترط عليهم أن يعطوه من جميع قبائلهم اثنا عشر ألف فارس يكونون مع المسلمين مجاهدين، فأجابوه وأسلموا، فعقد لولدي الكاهنة بعد إسلامهما لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس من البربر، وانضموا للمجاهدين لاستكمال فتح

1- عن كيفية نقل خالد بن يزيد العبسي، المعلومات العسكريَّة حول الكاهنة وقومها إلى حسَّان. (انظر: ابن عبد الحكم، **المصدر السَّابق**، ج1، ص270 ؛ المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص51-52؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص136؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص37).

2- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص90.

3- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص136 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص37-38.

4- **رياض النُّفوس**، ج1، ص54 وما بعدها.

بلاد المغرب، فانصرف حسَّان إلى القيروان بعدما تأكد من أنَّ البربر بناحية الأوراس حسن إسلامهم وذلك في شهر رمضان سنة 82هـ/أكتوبر 701م[1].

تمثل نهاية مقاومة الكاهنة بمنطقة الأوراس بالمغرب الأوسط، منعرجًا حاسمًا في عملية الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط، فقد دخلت هذه المنطقة بأسرها في الإسلام، حتَّى أصبح أكثر جيش حسَّان من البربر، وقد عمد هذا الأخير بعد أن استقامت له بلاد المغربين الأدنى والأوسط إلى تدوين الدواوين، وتنظيم الخراج، ووضع النظم الإداريَّة[2].

– فتوحات موسى بن نصير:

تولى موسى بن نصير ولاية المغرب في حدود سنة 83هـ/702م[3] بعهد من والي مصر عبد العزيز بن مروان الذي قام بعزل حسان بن النعمان قيل لثأر شخصي بينهما، فقدم موسى إلى إفريقية فخطب في الجنود الذين استغربوا لعزل قائدهم حسان الذي يكنون له التقدير والاحترام، فبرر في خطبته سبب العزل حيث قال بأنَّه بسبب كفره بالنعمة وتطاوله على أولي الأمر والنهي، وأمر موسى بصرف رواتب الجند ثلاث أضعاف ممَّا كانت عليه في عهد حسان لكي يستميلهم نحوه ويتناسوا ما

1- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص38.

2- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص56 ؛ السيد عبد العزيز سالم، **المرجع السَّابق**، ص164.

3- اختلف المؤرخون في تحديد سنة تعيِّين موسى بن نصير واليًا على بلاد المغرب حيث قال ابن عبد الحكم أنَّه كان سنة 79هـ/698م، وقال ابن الأثير أنَّه كان سنة 89هـ/708م وذكر قولًا آخر قال فيه أنَّه قيل بأنَّه عُيِّن سنة 78هـ/697م، أمَّا الرقيق القيرواني وابن خلدون لم يذكرا التاريخ بدقة وقالا أنَّ تعيِّينه كان في بداية خلافة الوليد بن عبد الملك والتي كانت سنة 86هـ/705م، في حين يرى ابن عذارى أنَّ تعيِّينه كان سنة 83هـ/702م في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ولمَّا تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة سنة 86هـ/705م أقرَّه في منصبه، وهو الأرجَّح حسب اعتقادي بالنظر إلى صيرورة الأحداث التَّاريخيَّة. (انظر: **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص274 ؛ **الكامل في التَّاريخ**، مج4، ص252 ؛ **تاريخ أفريقية والمغرب**، ص51 ؛ **العِبر**، ج4، ص239 ؛ **البيان المغرب**، ج1، ص39 وما بعدها).

حدث من عزل، وافتتح عهده بإفريقية بعزل نائب حسان ومساعديه وتغريمهم وتصفيدهم في الحديد وترحيلهم إلى المشرق[1].

وفيما يخص فتوحاته في المغرب فقد فتح أولًا قلعة زغوان ونواحيها، ثمَّ أكمل فتوحه وتوجه غربًا إلى المغرب الأوسط وشمل نشاطه قبائل هوارة وزناتة وكتامة وصنهاجة، ثمَّ اتجه إلى المغرب الأقصى وأخضع قبيلة أوربة، ثمَّ عاد إلى القيروان للاستعداد من جديد، فنضم جيشه وتوجه إلى المغرب الأقصى في حملة أخرى فأخضع السوس الأقصى، والمصامدة في جبال درن، كما فتح السوس الأدنى وعيِّن واليًا عليها، ثمَّ فتح طنجة وولى عليها طارق بن زياد[2]، ولم تبق غير مدينة سبتة التي استعصت على المسلمين لحصانتها الطبيعية والصناعية ومساعدة ملوك القوط لحاكمها يوليان[3].

وباستيلاء المسلمين على طنجة قاعدة المغرب الأقصى وتحويلها إلى رباط عسكري بقيادة طارق بن زياد يكتمل فتح المغرب الأقصى ويعود موسى بن نصير إلى القيروان.

عنوان المحاضرة: الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس

عرض حاكم سبتة يوليان على والي طنجة طارق بن زياد المساعدة من أجل فتح بلاد الأندلس[4] فاستشار طارق موسى بن نصير في القيروان واستشار هو الآخر الخليفة الأموي الوليد بن

1- عن ظروف عزل الوالي حسان بن النعمان وتعيِّين موسى بن نصير واليًا جديدًا على بلاد المغرب. (انظر: موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص81 وما بعدها).

2- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص40 وما بعدها ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص239.

3- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص89.

4- يذكر ابن عبد الحكم أنَّ طارق بن زياد حاكم طنجة راسل يوليان حاكم سبتة ولاطفه وتبادل الهدايا، ولمَّا فسدت العلاقة بين يوليان وملكه القوطي لذريق الذي تعدى على شرف ابنته، راسل يوليان طارق وعرض عليه المساعدة في فتح الأندلس انتقامًا من ملكها لذريق. (انظر: **فتوح مصر والمغرب**، ج1، ص276-277).

عبد الملك في استكمال الفتح إلى ما وراء البحر أي إلى بلاد الأندلس، فأذن له الخليفة بشرط إرسال حملات استطلاعية لمعرفة أحوال هذه البلاد[1].

فأرسل طارق بن زياد لهذا الغرض رجل اسمه طريف ويكنى بأبي زُرعة في مئة فارس وأربع مائة راجل سنة 91هـ/710م على رأس حملة انطلقت من طنجة بأربعة سفن أمدها لهم حاكم سبتة يوليان إلى ساحل الأندلس، فنزل في موضع أصبح يدعى جزيرة طريف إلى يومنا هذا، وشنَّ سلسلة غارات وصلت حتى الجزيرة الخضراء فقتل وسبى وأصاب غنائم كثيرة، وعاد إلى طنجة بأخبار مفرحة لطارق حيث أخبره بسعة البلاد وكثرة نعمها وخيراتها، ولمَّا سمع موسى بن نصير بهذه الأخبار أمر طارق بن زياد بتجهيز حملة كبرى لغرض فتح الأندلس[2].

جهز طارق بن زياد جيشًا قدره حوالي اثنا عشر ألف جندي من البربر[3]، وعبر إلى الأندلس وقيل أنَّه أحرق السفن عندما وصل إلى العُدوة الأندلسية[4] وقال مقولته المشهورة لتشجيع الجيش على الثبات والجهاد في سبيل الله "أيُّها النَّاس أين المفر ؟ البحر من وراءكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلَّا الصدق والصبر...."[5]

1- مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ط2، ص16.

2- مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، ص16-17 ؛ مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين، مدريد، 1983م، ج1، ص98.

3- اختلف المؤرخون في تحديد عدد جيش طارق بن زياد، حيث يذكر الرقيق القيرواني أنَّ عدده اثنا عشر ألف جندي من البربر، ويتفق معه في العدد صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس ويقول أنَّ عشرة آلاف منه كانت من البربر وألفين من العرب، وسبعمائة من السودان (أفارقة سود)، كما يتفق معهما ابن الأثير في العدد لكن دون تفصيل في قومية هذا الجيش الإسلامي، بينما يرى صاحب كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس أنَّ عدده سبعة آلاف مقاتل فقط ويذكر أنَّ جلهم من البربر والموالي، وليس فيهم عرب إلَّا قليل. (انظر: **تاريخ أفريقية والمغرب**، ص53 ؛ **ذكر بلاد الأندلس**، ص98 ؛ **الكامل في التَّاريخ**، مج4، ص264؛ **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، ص17).

4- الإدريسي، **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس**، ص263. (وللبحث أكثر في مسألة إحراق طارق للسفن من عدمها. انظر: عبد الحليم عويس: **إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة ... لا تاريخ**، دار الصحوة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1995م، ط1، ص5 وما بعدها).

5- عبد الحليم عويس، **المرجع السَّابق**، ص25-26.

وقد حط طارق في جبل يُعرف إلى اليوم باسمه وهو جبل طارق في شعبان 92هـ/جوان 711م وبدأ حملته بالاستيلاء على المدن والقرى المجاورة له، ثمَّ تقدم في البلاد يحقق نصرًا تلو الآخر على الجيوش التي كان يرسلها لذريق لصدِّ تقدمه، وعندما لم تغني هذه البعوث التي أرسلها تجهز لذريق بنفسه في جيش ضخم بلغ تعداده مئة ألف مقاتل[1]، وقد توجه به جنوبًا صوب جيش طارق بن زياد فالتقى الجمعان في الثامن والعشرين رمضان 92هـ/18جويلية 711م في معركة ضارية دامت ثمانية أيام انتهت بانتصار المسلمين وانهزام القوط وقتل ملكهم لذريق أو غرقه في بعض الرِّوايات، وقد سميت هذه المعركة بأسماء عدَّة منها معركة شذونة، البحيرة، وتُعرف أكثر بمعركة وادي لكة[2].

ثمَّ تقدم طارق لمواصلة الفتح فهزم القوط المجتمعين في مدينة استجة، وفتح قرطبة وطليطلة عاصمة القوط ومدن كثيرة[3]، وهنا أصبحت البلاد كلها تقريبًا سهلة للفتح وفي متناول الخلافة الأموية.

أمَّا موسى بن نصير فقد أعد بدوره جيشًا قوامه ثمانية عشر ألف مقاتل[4] ودخل الأندلس بعد عام من حملة طارق في رمضان 93هـ/جوان 712م وفتح شذونة وقرمونة واشبيلية وماردة وباجة[5]، ثمَّ ذهب إلى طليطلة فاستقبله طارق بتعظيم وإجلال، ولكن موسى بدلًا أن يشكره وبخه وأنبه على عدم

1- مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، ص18.

2- ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، ج1، ص277 وما بعدها ؛ ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج4، ص264 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج4، ص239.

3- ابن القوطية: **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ط2، ص35 ؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص99.

4- مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، ص24. (غير أنَّ صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس يذكر أنَّ عدد جيش موسى هو عشرين ألف فارس). (انظر: **ذكر بلاد الأندلس**، ص99).

5- مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، ص24 وما بعدها.

توقفه عند قرطبة ومواصلته للفتح[1]، ويذكر ابن عبد الحكم أنَّ طارق ترضاه وقال له إنَّما أنا مولاك وهذا الفتح لك[2]، فقبل موسى اعتذاره ورضي عنه[3].

والمهم بعد هذا اللقاء وضع القائدان طارق وموسى خطة لإتمام فتح ما تبقى من الأندلس، فقد خرج الجيش الإسلامي من طليطلة وعلى مقدمته طارق ومن خلفه موسى في بقية الجيش متوجهين إلى الشمال الشرقي ففتحا مدينة سرقسطة وبرشلونة ونافار ووصلوا إلى جبال البرت (البرينيه)، ثمَّ افتتحا مدن الإقليم الشمالي الغربي المتمثلة في جليقية وقشتالة وغيرهما، وأخيرًا عادوا أدراجهم جهة الجنوب الشرقي وفتحوا بلنسية، ولم يفتح المسلمون فقط من شبه الجزيرة الإيبيرية إلَّا أقصى الشمال الغربي حيث جبال أستوريش التي اعتصم بها القوط رفقة زعيمهم بلايو أو بلاي، وشيئًا فشيئًا قويت شوكتهم حتَّى كونوا المملكة النَّصرانيَّة في الشمال[4].

وأقام موسى بالأندلس مجاهدًا وجامعًا للأموال ومرتبًا للأمور إلى بداية سنة 95هـ/714م ثمَّ استخلف ابنه عبد العزيز عليها ورجع إلى القيروان ومنها أستدعي من قبل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك إلى المشرق رفقة طارق بن زياد[5].

عنوان المحاضرة: عصر الولاة في بلاد المغرب الإسلامي

– مفهوم عصر الولاة:

يطلق مصطلح عصر الولاة في بلاد المغرب والأندلس من فترة عزل موسى بن نصير ورجوعه إلى المشرق سنة 95هـ/714م حتى قيام الدُّول المستقلة عن الخلافة في المشرق، وقد استقلت أقطار

1- الرقيق القيرواني، **تاريخ أفريقية والمغرب**، ص54 .

2- **فتوح مصر والمغرب**، ج1، ص280 .

3- مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص100 .

4- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص168 .

5- المراكشي، **المُعجب**، ص11. (وعن مصير موسى بن نصير وطارق بن زياد). (انظر: ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، ج1، ص284 وما بعدها ؛ ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص36-37 ؛ الرقيق القيرواني، **تاريخ أفريقية والمغرب**، ص58-59).

المغرب الإسلامي تبعًا، حيث ظهرت الدَّولة المدراريَّة في سجلماسة سنة 155هـ/772م، والدولة الرستميَّة بتيهرت سنة 160هـ/777م، والدَّولة الإدريسيَّة بفاس سنة 172هـ/788م، وأخيرًا دولة الأغالبة بالقيروان سنة 184هـ/800م[1].

– مميزات عصر الولاة في بلاد المغرب:

اتسم عصر الولاة بالمغرب بأربعة مظاهر كبرى وهي:

1- تفشي الروح العصبية والعنصرية القبلية بين القبائل العربية (الصراع التاريخي الذي حدث في المشرق انتقل إلى المغرب بين العرب القيسية والكلبية)[2].

2- السياسة الإدارية السيئة لبعض الولاة الأمويِّين والعباسيِّين في بلاد المغرب، وقد تجلت هذه السياسة أكثر في عهد الواليين يزيد بن أبي مسلم الثقفي وعبيد الله بن الحبحاب السلولي.

3- انتشار المذهب الخارجي الصُفري والإباضي بين القبائل المغربية.

4- اندلا ع الثورات المغربية ضدَّ ولاة السلطة المركزية الذين حكم بعضهم بالظلم والجور، وقد انتهت هذه الثورات بطبيعة الحال إلى قطيعة بين أهل المغرب والخلافة الأموية والعباسية، وخروج معظم مناطق المغربين الأوسط والأقصى عن إدارة الخلفاء وولاتهم في المغرب، ثمَّ الانفصال التام والاستقلال النهائي أثناء الحكم العباسي[3].

– التَّنظيم الإداري:

كان والي المغرب يقود الجيوش ويجهِّز البعوث للأقاصي ويقسم الغنائم بين المحاربين على قاعدة الأخماس، ويصرف مرتبات الجند من بيت مال المسلمين (مال الولاية) ويعمل على نشر الدِّين

1- حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، مصر، 2004م، ص65.

2- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص119-120.

3- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص153 وما بعدها.

الإسلامي والتبشير به، ويساعد الولاة في هذه الأعمال مجموعة من العمال وهم عامل الخراج والصدقات، كاتب الولاية، والقاضي وتوابعه من المحتسبين والمفتين والمقرئين والشهود[1].

- التَّنظيم المالي:

كانت النظم المالية المطبقة في بلاد المغرب على العموم مشابهة للنظم السائدة في أقاليم الدولة الإسلامية الأخرى مع بعض الاختلافات البسيطة كاشتراط عمرو بن العاص على أهل برقة أن يبيعوا في جزيتهم من أولادهم من أحبوا، ومثل بقاء التعامل في إفريقية بالسكة الرومية التي ضربها جرجير، ومثل أخذ المسلمين لجزية غير نقدية من غير المسلمين في المواشي. والجوانب المالية في المغرب هي نفسها في باقي الأقاليم الإسلامية والتي تتمثل في: الغنائم، الفيء، الخراج، الجزية، الزكاة والعشور. وعندما توقفت الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب قلت موارد بيت مال المسلمين، فقام بعض ولاة المغرب مثل يزيد بن أبي مسلم وعُبيد الله بن الحبحاب بفرض ضرائب باهظة على البربر، وهذه الضرائب كانت مخالفة لتعاليم الدِّين الإسلامي التي تنص على أنَّ المسلمين لا تؤخذ من أموالهم غير الزكاة، فأدى ذلك على ظهور معارضة قوية من البربر للدِّفاع عن حقوقهم المشروعة عن طريق إعلان الثورة ضدَّ سياسة الولاة[2].

عنوان المحاضرة: عصر الولاة في بلاد الأندلس

يبدأ عصر الولاة في الأندلس من ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة95هـ/714م وينتهي مبكرًا في سنة 138هـ/755م بقيام الدَّولة الأموية، عكس بلاد المغرب الذي تأخر نسبيًا حتى سنة 184هـ/800م، وقد قامت الدَّولة الأموية بقيادة عبد الرَّحمان بن معاوية الملقب بالداخل

1- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص108-109.

2- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص138 وما بعدها.

وبصقر قريش حيث قضى على آخر والي عباسي وهو يوسف بن عبد الرحمان الفهري في شهر ذي الحجة 138هـ/ماي 756م[1].

وقد تولى الأندلس بعد فتحها سنة 92هـ/711م إلى أن دخلها عبد الرَّحمان الداخل حوالي عشرين واليًا في فترة قاربت نصف قرن من الزمن، وقد مكث بعضهم في الإمارة عدَّة أشهر فقط وهناك من حكم بضع سنوات. ويتم تعيينهم إمَّا بقرار من الخلافة في المشرق مباشرةً أو بقرار من والي المغرب، وقد يُجمع الجُند وأهل الأندلس أحيانًا على اختيار والي ثمَّ يُقره الخليفة فيكون التَّعيِّين ذاتيًا[2].

وقد قسمت الأندلس إداريًا في البداية إلى أربع ولايات يعين لكل واحدة حاكم مسئول أمام والي الأندلس، وتشمل الولاية الأولى الأراضي الواقعة بين البحر ونهر الوادي الكبير وما يلي هذا النهر إلى وادي بانا وأهم مدنها قرطبة جيان واشبيلية ومالقة، وتشمل الولاية الثانية اسبانيا الوسطى من البحر المتوسط شرقًا إلى حدود لوزيتانيا (البرتغال الحالية) غربًا وتمتد حتَّى نهر دورو في الشمال واهم مدنها طليطلة ووادي الحجارة وبلنسية ودانية ومرسية وغيرها، وتشمل الولاية الثالثة جليقية ولوزيتانيا (البرتغال القديمة) وأهم مدنها ماردة وباجة ولشبونة وغيرها، وتشمل الولاية الرابعة المنطقة الممتدة من شاطئ نهر دورو إلى جبال البرينيه على شفتي نهر الأبرو وأهم مدنها سرقسطة، طرطوشة، برشلونة، تطيلة، بلد الوليد ووشقة وغيرها، وعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية أنشئت ولاية خاصة شمال البرينيه[3].

– سمات عصر الولاة في الأندلس:

يتميز عصر الولاة في الأندلس بمجموعة من السمات أهمها:

1- أسعد حَومَد: **محنة العرب في الأندلس**، المؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، بيروت، 1988م، ط2، ص70-71.

2- منى حسن محمود: **المُسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (92-206هـ-714-814م)**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م، ص10 ؛ محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص191 وما بعدها.

3- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص184-185.

– وصول الجيوش الإسلامية إلى ما وراء جبال البرت (البرينيه) حيث الأراضي الفرنسية ومدنه بون وليون وغيرها وإتمام الفتح الإسلامي في كامل بلاد الأندلس ماعدا منطقة أستوريش التي اعتصم بها القوط، وقاموا بتنظيم هجمات على المسلمين لدحرهم نحو الجنوب، ولعل أهم قادتهم في تلك المرحلة هو ألفونسو الأوَّل الذي وحَّد جبهة المقاومة النَّصرانيَّة ضدَّ المسلمين لأوَّل مرة عام 133هـ/750م.

– نشر الدِّين الإسلامي وتعاليمه السمحة في الأندلس، ودخول عدد معتبر من السكان المحليِّين القوط في الإسلام.

– حرية الأديان حيث عاش غير المسلمين في الأندلس أحرار في عقائدهم.

– القضاء على نظام الطبقات الذي كان سائدًا في عهد القوط.

– الصراع العربي العربي بين القيسية واليمنية، وقد خلف ذلك اضطرابًا وفوضى كادت أن تقضي على تواجد المسلمين بالأندلس في المهد.

– اشتراط بني أمية أن يكون الوالي على الأندلس عربيًا وأن تكون قيادة الجيوش والوظائف الكبرى محصورة في عشيرتهم أو القبائل المتحالفة معهم.

– قيام البربر ببعض الثورات ضدَّ سياسة الولاة الجائرة.

– ضرب العملة الإسلامية والاهتمام بالبناء والتعمير حيث بنا الولاة المساجد والمدارس ودور العلم لنشر الإسلام.

– نشأة جيل المولدين نتيجة انخراط الفاتحين بالسكان الأصليِّين القوط وانتشار الإسلام بصورة سريعة[1].

1– منى حسن محمود، **المرجع السَّابق**، ص17 وما بعدها ؛ محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص180 وما بعدها.

عنوان المحاضرة: الدَّولة المدراريَّة في المغرب الأقصى

– ثورات الخوارج بالمغرب الإسلامي :

بالرغم من أنَّ المذهب الخارجي كان مشرقي النشأة إلَّا أنَّ مبادئ وآمال رجالاته تجسدت أيضًا في بلاد المغرب الإسلامي، وقد تمثل ذلك في قيام دولتين خارجيتين إحداهما صفرية المذهب اتخذت من سجلماسة بإقليم تافيلالت بالمغرب الأقصى عاصمةً لها ونقصد بها الدولة المدرارية، والثانية انتحلت الإباضية وجعلت من تيهرت بالمغرب الأوسط عاصمةً لها ونقصد بها الدَّولة الرستمية.

وقبل تأسيس الخوارج لهاتين الدَّولتين كان لهم نشاط كبير مهد لقيامهما، وقد ساعدت عدة عوامل في تحقيق ذلك أهمها:

– الدعاية المحكمة لنشر أفكار المذهب الخارجي من جهة، وضدَّ مذهب الخصوم من جهة أخرى.

– تهيئة الأرضية الفكرية لتقبل الفكر الخارجي عند البربر الذين وجدوا في أفكار الخوارج مخرجًا لهم خاصةً ما يتعلق بمبدأ جواز الخروج على السلطان الجائر بالسلاح، لأنَّه يسعى إلى الإطاحة بحكم الأمويِّين ثمَّ العباسيِّين من بعدهم بسبب ما ارتكبه بعض ولاتهم على المغرب من ظلم في حقهم.

–احتضان وإعجاب البربر بفكرة الحكم الشورى وعدم انحصاره في قريش ولا في بيت عربي آخر ما يعني أنَّ هذه الفكرة تفتح لهم بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم.

– التَّنظيم السري المحكم للدعوات الخارجية.

– استخدام السلاح في الوقت المناسب بعد التنظيم والدعاية والانتشار.

– ضعف الدولة الأموية في أواخر عهدها، والعباسية في بداية نشأتها وانشغالهما بالثورات التي حدثت في بلاد المشرق عن ما يحدث في بلاد المغرب.

– انفصال وانعزال الخوارج وبعدهم عن السلطة المركزية بالمشرق وعاصمة الولاة بالمغرب القيروان، حيث حول الخوارج نشاطهم إلى المغرب الأقصى والجزء الغربي من المغرب الأوسط، فمكنهم ذلك من تنظيم صفوفهم والقيام بالثورة، ولم يمكن أعدائهم من القضاء عليهم بسبب البعد المكاني وصعوبة التدخل في الوقت المناسب[1].

وتجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى أنَّ البربر قبل اعتناقهم للمذهب الخارجي وإعلانهم الثورة ضدَّ سياسة الولاة الجائرة قاموا بتصرف حضاري يبين أنَّهم ليسوا من الذين يحبون إثارة الفوضى والاضطراب والثورة لأتفه الأسباب، حيث قاموا بإرسال وفد يتكون من حوالي عشرين رجلًا بقيادة ميسرة المطغري إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في دمشق لمطالبته بإصلاح الوضع في بلاد المغرب، ويخلصهم من ظلم الولاة، ولكنهم لم يتمكنوا من مقابلته إذ حال الأبرش وزيره بينهم وبينه، فعاد الوفد إلى المغرب وقد عزموا على الثورة بعدما يئسوا من الإصلاح بالطرق السلمية[2].

وقد شهد الطبري بأنَّ البربر كانوا يميلون إلى السلم بقوله "فمازال أهل المغرب من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك، أحسن أمة سلامًا وطاعةً، حتَّى دبَّ إليهم أهل العراق[3]".

– نسب الصُفرية:

الصُفرية نسبةً إلى زياد بن الأصفر وهو النسب الأكثر تدولًا لدى المؤرخين، وهناك من ينسبهم إلى أقدم أئمتهم عبد الله بن صفار، كما نسبوا إلى النعمان بن صفر، وهناك من يقول أنَّهم

1– محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م، ط2، ص42 وما بعدها ؛ موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص151 وما بعدها ؛ عبد العزيز الثعالبي: **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدَّولة الأغلبية**، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمَّد إدريس، تقديم ومراجعة حمَّادي السَّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ط2، ص131 وما بعدها.

2– الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د.ت، ط2، ج4، ص254–255.

3– **تاريخ الرسل والملوك**، ج4، ص254.

قوم أنهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم فقيل صفرية، وقيل بل هم الصِفرية لخلوهم من الدِّين فقد كان يقال لهم أنتم صِفر في الدِّين[4].

– نشاط الصُفرية وقيام الدَّولة المدراريَّة:

بدأ نشاط الخوارج الصفرية[5] ببلاد المغرب في أوائل القرن الثاني للهجرة على يد دعاتهم الأوائل وعلى رأسهم عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس ذلك العالم التابعي المغربي الأصل الذي اعتنق المذهب الصُفري وقام بنشره في بلاد المغرب عن طريق اتصاله برؤساء القبائل البربربة سواء عندما زار بلاد المغرب وبالتحديد القيروان أو حينما تقابل معهم في المدينة المنورة[6].

وشيئًا فشيئًا نمت حركة الخوارج الصفرية باعتناق بعض القبائل البربرية لهذا المذهب وأعلنوا الثورة ضدَّ ولاة الأمويين للتَّخلص من سياستهم الجائرة المتمثلة خاصةً في الجشع المادي، وكانت أولى ثورات الخوارج الخطيرة تلك الثورة التي قادها ميسرة المطغري زمن الوالي عُبيد الله بن الحبحاب سنة 122هـ/740م، حيث جهز جيش قوامه أربعين ألفًا من الصُفرية وخمسة وعشرون ألفًا من الإباضية واستولى على مدينة طنجة وطرد حاكمها عمر بن عبد الله المرادي، وبايع الخوارج بها قائدهم ميسرة بالخلافة، ولكنه أساء السيرة فيهم فثاروا عليه وقتلوه، ثمَّ بايعوا خالد بن حميد الزناتي وأخذوا يشنون الغارات في المغربين الأقصى والأوسط، ولمَّا جاءت عساكر الوالي ابن الحبحاب لرد هجماتهم التقى الجمعان على ضفاف نهر الشلف وجرت معركة ضارية سميت بمعركة الأشراف سنة 122هـ/740م والتي انتهت بهزيمة جنود ابن الحبحاب. كما هزمت جيوش الخوارج أيضًا جنود الوالي كلثوم بن عياض القشيري في موقعة بقدورة على وادي سبو سنة 124هـ/742م، وفي نفس السنة هدَّد الصُفرية القيروان ولكن جموعهم انهزمت في معركتي القرن والأصنام أمام جنود الوالي حنظلة بن صفوان الكلبي. وفي سنة 132هـ/750م وقيل سنة 140هـ/757م اجتمع الصُفرية في مدينة مكناسة

4- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص44-45.

5- حول مبادئ وعقائد المذهب الصُفري. (انظر: الشهرستاني: **المِلَلُ والنِّحَلُ**، تحقيق أمير علي مهنا، علي حسن فاهود، دار المعرفة، بيروت، 1993م، ط2، ج1، ص159-160).

6- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص46 وما بعدها.

وبايعوا عيسى بن يزيد الأسود أمامًا لهم ولكنهم سرعان ما تنكروا له وقتلوه شر قتلة في سنة 155هـ/772م، وعينوا أبو القاسم المدراري خليفةً لهم فتوارث أولاده الحكم فيما بعد، وقد بلغ عددهم حوالي ثلاثة عشر أميرًا[7].

وقد اتخذ المداريون من سجلماسة جنوب المغرب الأقصى عاصمةً لدولتهم، والتي استمرت قائمةً إلى أن ظهرت الدَّولة العُبيديَّة (الفاطميَّة) بالمغرب فأطاحت بها سنة 296هـ/909م لكن ما إن غادر العُبيديون سجلماسة حتى أعاد المداريون إنشاء دولتهم من جديد، وأطاح بها الفاطميون مرةً أخرى سنة 347هـ/958م، فأعاد إحياءها ولدي الشاكر محمَّد بن الفتح، المنتصر بالله والمعتز بالله، حيث حكمها المنتصر بالله إلى غاية 352هـ/963م، ثمَّ المعتز بالله إلى غاية 366هـ/976م حيث زحف عليه أمير مغراوة الزناتية خزرون بن فلفول وقضى على دولتهم بصفة نهائية[8].

– الحياة الاجتماعية:

انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري أحدث انقلابًا في موازين القوى الاجتماعية ببلاد المغرب، إذ هوت بعض العناصر التي كانت تحتكر السلطة السِّياسيَّة وصعدت عناصر كانت مغلوبة على أمرها لتقف على قدم المساواة مع القوى الأخرى أو نالت حظها في بعض الأحيان في قيادة الثورات وتولي مقاليد الحكم والسِّياسة. وبالنِّسبة لفئات المجتمع المدراري فأغلب العناصر السكانية في الدَّولة المدرارية هم بربر، ثمَّ تأتي باقي العناصر منها التي قدمت من مدن مشرقية شهيرة مثل البصرة والكوفة وبغداد، وهناك يهود يمارسون التجارة، وكذلك الأفارقة السود والأندلسيِّين وغيرهم، وقد ساهم هذا الخليط من السكان في تحول المداريِّين بالتدريج من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، ومن الفقر والعوز إلى الترف والثراء، ومن مظاهر الترف الاجتماعي انتشار الحمامات والأسواق والأطعمة الطيبة[9].

7- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص158 وما بعدها ؛ محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص62 وما بعدها.

8- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص210 وما بعدها.

9- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص285 وما بعدها.

– الحياة الاقتصادية:

لقد قامت الدَّولة المدراريَّة في منطقة صحراوية، ومع ذلك واكب قيامها ازدهارًا في الزراعة والصناعة ورواجًا في التجارة، ففي مجال الزراعة استفاد بنو مدرار من مياه نهر ملوية، وشقو القنوات لتوصيل المياه إلى الأراضي الزراعية الواسعة، واستكثروا من الغروس فزرعوا أشجار النخيل والأعناب على مساحة بلغت أربعين ميلًا، ويؤكد صاحب الاستبصار ذلك حينما قال أنَّ سجلماسة كثيرة النخل والأعناب والفواكه[10]. واشتهرت سجلماسة إلى جانب ذلك بزراعة الحنطة والشعير والقطن والكمون والكراوية وغيرها، ولا شك أنَّ أعداد هائلة من البربر في سجلماسة تحولوا إلى مزارعين دون أن يهملوا حرفة تربية الماشية والأبقار[11].

تطورت الدَّولة المدراريَّة ولو نسبيًا في الميدان الصناعي، نتيجة وجود عناصر غير مغربية تعيش في كنف الدولة كاليهود والأندلسيِّين والفرس والعرب المشارقة، ووفرة المناجم في مدينة درعة الغنية بالذهب والفضة ساعد على استغلال مقدرات البلاد الاقتصادية استغلالًا طيبًا، وقد استغل اليهود المناجم واحترف الأندلسيِّين المقيمين بسجلماسة حرف الحدادة وأعمال البناء، كما عُرفت سجلماسة في عهد بني مدرار بصناعة الثياب والسكر والملح والأحذية وغيرها[12].

أمَّا التجارة فقد كانت مزدهرة لكون سجلماسة تقع في مفترق مسالك تجارية شهيرة في العصر الإسلامي الوسيط، فقد كانت جميع القوافل التجارية القادمة من تلمسان وفاس ومراكش وبلاد الأندلس وغيرها من المدن والمتجهة نحو بلاد السودان الغربي أو العائدة منها تمر بسجلماسة،

10- مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة أفاق عربية، بغداد، د.ت، ص201.

11- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص273-274.

12- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص275-276.

ومن أهم البضائع التي كانت تجلب إلى سجلماسة البضاعتان الثمينتان الذهب والرقيق اللتان تجلبان من مدن غانة وأودغوست وتكرور وغيرها وتأخذ إلى أوروبا وبلاد الأندلس[13].

– الحياة الفكرية:

رغم أنَّ الدَّولة المدرارية تمكنت من تحقيق بعض الازدهار الاقتصادي إلَّا أنَّها بقيت دولة بدوية ذات حضارة محدودة، وربما وقف نظامها القبلي حجرة عثرة أمام تطورها الحضاري، ومع هذا لا تخلو هذه الدَّولة من بعض السمات التي يمكن وضعها في سياق الحركة الحضارية والثقافية، فمثلًا كان لها طابعها العمراني المتأثر بالذوق البدوي. ولما توطدت العلاقات بين الدَّولتين المدرارية والرستمية بدءًا بعهد الأمير الخامس اليسع بن مدرار المنتصر (270-276هـ)/(883-889م) أضحى المظهر الحضاري والثقافي في سجلماسة أكثر شبهًا وقربًا من تيهرت الرستمية، حيث شرع بعض العلماء والأدباء الإباضيِّين في الانتقال إلى سجلماسة بغرض نشر العلم وبث الدعوة الإباضية، كما تنقل طلبة العلم من إفريقية إلى سجلماسة للتَّعلم على مشاهير العلماء الإباضيِّين المقيمين بها. كما ساهم التَّسامح الذي لقيه أتباع المذاهب الأخرى كالسنة المالكية والمعتزلة والشيعة الروافض من قبل المدراريِّين في وجود نوع من التنافس الفكري بين هذه النِّحل، وقد أقامت في سجلماسة أعداد غفيرة من المعتزلة تمتعوا بحرية وتسامح في رحاب الصُفرية على الرغم من تطرف المذهب الصُفري، وليس أدل عرى ذلك من سماح المدراريِّين لهم بأن يبعثوا بزكاة أموالهم إلى رئيسهم بتهرت يصرفها حيث شاء[14].

– العلاقات الخارجية:

التقت أهداف الدَّولتين المداريَّة والرستميَّة وتوطدت بينهما أواصر المودة والصداقة فأصحابها ينتميان إلى المذهب الخارجي، فالرستميون نظروا إلى سجلماسة على أنَّها منفذ هام للقوافل التِّجارية إلى بلاد السودان الغربي، وشعر المداريون بأهمية الرستميِّين لهم إذ أنَّ توثيق الصِّلات بهم يعطيهم الأمان الذي يشعرون بالحاجة إليه كدولة صغيرة يتربص بها الأعداء خاصةً جيرانهم الأدارسة، وزاد

13- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص276 وما بعدها.

14- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص292 وما بعدها.

التقارب بين الدَّولتين عندما حدثت المصاهرة بينهما حيث تزوج الأمير مدرار بن المنتصر بن اليسع من أروى بنت عبد الرَّحمان بن رستم، كما توطدت العلاقات الثقافية والتجارية بينهما[15].

وبالنِّسبة للعلاقات مع دولة الأدارسة فقد اتسمت بطابع العداء الذي اتخذ صورة تدبير المؤامرات أولًا ثم تحول إلى صراع عسكري أسفر عن توسع الأدارسة على حساب بني مدرار أخيرًا، ولم يكن الصراع نتيجة الاختلاف المذهبي بقدر ما كان نتيجة لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية، فسياسيًا كانت علاقة المدراريون جيدة مع أعداء الأدارسة البرغواطيِّين وبني رستم وبني أمية بالأندلس، كما أنَّ قيام دولة الأدارسة تمَّ على حساب الخوارج الصفرية، بالإضافة إلى أطماع الأدارسة في ذهب سجلماسة وفضة درعة. ورغم هذا العداء إلَّا أنَّ العلاقات تخللتها فترات من المسالمة وحسن الجوار كما كان هناك تبادل تجاري بين الدَّولتين، حيث كانت القوافل التِّجارية تروح جيئةً وذهابًا بينهما في آمان وسلام[16].

اتخذت علاقات بني مدرار مع العباسيِّين وأعوانهم الأغالبة طابع العداء بسبب الاختلاف المذهبي، وانفصال الدَّولة المدراريَّة عن الخلافة العباسيَّة، حقيقة أنَّ هذا العداء لم يصل إلى درجة قيام الحروب بينهما، فقد شغل كل منهم بمشاكله الذاتية عن مناجزة خصومه، وحالت الظروف السِّياسيَّة والعوامل الجغرافية دون تناحرهم، فالدَّولة الرستمية بالمغرب الأوسط كانت حائلًا جغرافيًا بين الأغالبة وبني مدرار منع من حدوث الاصطدام المباشر بينهما، كما آثر الأمراء المدراريون حياة الهدوء والموادعة داخل بلادهم النائية. واتخذت أيضًا العلاقات المدراريَّة العُبيديَّة (الفاطميَّة) طابع العداء الشديد، حيث أسقط العُبيديون الدولة المدرارية سنة 296هـ/909م. وبالنِّسبة لعلاقات بني مدرار والأمويِّين بالأندلس فلم يكن الاختلاف المذهبي والبعد الجغرافي حائلًا دون وجود صلات ودية بينهما، فقد جمعهما العداء المشترك للخلافة العباسيَّة والأغالبة والأدارسة، وسمح التقارب السِّياسي بينهما لوجود

15- محمَّد عيسى الحريري: **الدَّولة الرستميَّة بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)**، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م، ط2، ص206 وما بعدها.

16- محمود إسماعيل: **الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ط1، ص136 وما بعدها.

علاقات تجارية بحرية متينة تربط موانئ الأندلس في البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) بموانئ بني مدرار في بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)[17].

عنوان المحاضرة: الدَّولة الرستميَّة في المغرب الأوسط

– بداية الدَّعوة وتأسيس الدَّولة:

كان نشاط الإباضية مشابه لنشاط إخوانهم الصُفرية ومتزامنًا معهم أيضًا، وقد ثاروا بدورهم على سياسة الولاة الجائرة، وظهرت هذه الفرقة إلى الوجود ببلاد المشرق الإسلامي وكان دعاتها الأوائل إلى جانب عبد الله بن إباض، أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العماني، وأبو عُبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري وغيرهم.

لمَّا أدرك الإباضية صعوبة الدعوة لمذهبهم في المشرق انتقلوا إلى بلاد المغرب فظهر بها سلمة بن سعد الذي يُعتبر أول داعية إباضي يدخل بلاد المغرب في أوائل القرن الثاني للهجرة، واستقر بمدينة سرت وقيل بالقيروان وأخذ ينشر المذهب الإباضي، فكوَّن أتباعًا وأرسل بعضهم إلى البصرة ليتلقوا العلم من علماء الإباضية، وقد ذهب منهم عبد الرحمان بن رستم، وعاصم الصدراتي، وأبو داود القبلي النفزاوي، واسماعيل بن ضرار الغدامسي، وانضم إليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، وقد مكثوا مدَّة خمس سنين وعاد هؤلاء الخمسة إلى المغرب وهم يشتعلون حماسًا لإقامة دولة على المذهب الإباضي[18].

وقد بايع الإباضية أبو الخطاب المعافري إمامًا لهم في محرم سنة 140هـ/جوان 757م بعد استيلائهم على مدينة طرابلس واتخذوها مقرًا لهم، واختار أبو الخطاب رفيقه في العلم عبد الرَّحمان بن

17- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص128 وما بعدها.

18- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص165.

رستم قاضيًا بطرابلس. وكان أبو الخطاب معروفًا بالعدل والرفق بالرعية فعظم شأنه وامتد سلطانه إلى برقة شرقًا والقيروان غربًا وفزان جنوبًا[19].

وكان استيلاء أبو الخطاب على القيروان سنة 141هـ/758م وأخرج قبيلة ورفجومة منها، وجعل عبد الرَّحمان بن رستم واليًا عليها، وقد مكث بها إلى سنة 144هـ/761م حيث وصلت جيوش الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وهزمت الإباضية وأخرجتهم من القيروان، وقتلوا زعيمهم أبي الخطاب المعافري، وعلى إثر هذه الهزيمة أحس عبد الرَّحمان بن رستم بالخطر المحدق به بالمغرب الأدنى فقرَّر الذهاب إلى المغرب الأوسط رفقة الإباضيِّين الذين نجوا من المعركة حيث لا يصلهم جنود العباسيِّين، فاستقر عند قبيلة لماية البترية وذلك لحلف قديم كان قائمًا بينه وبينهم، ولما تكاثرت عليه الجموع شرع في تأسيس قاعدة يمكن الدِّفاع عنها فكان اختياره قد وقع على منطقة تيهرت لخصوبة أرضها ووفرة مياهها وحصانة طبيعتها وجودة مناخها، وكان أول بناء شرع فيه في حدود سنة 144هـ/761م هو المسجد الجامع ثمَّ البيوت وباقي المرافق الأخرى، وبعد أن أصبحت معقلًا عمرانيًا وسياسيًا وحضاريًا وتوطدت أسس الإمارة وأركانها وترسخت دعائمها وقواعدها بايع الإباضية عبد الرحمان بن رستم بالإمامة سنة 160هـ/777م[20].

وقد ترسخ الحكم الوراثي في الأسرة الرستمية حيث اقتصر الحكم على نسل عبد الرحمان بن رستم، وناقض بذلك الرستميون مبدأ الشورى الذي ناد به الخوارج والذي ينص على عدم انحصار الحكم في قبيلة أو أسرة معينة[21].

19- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص67 وما بعدها.

20- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص196 ؛ محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص82 وما بعدها.

21- عندما تمَّ انتخاب عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم للإمامة، انقسم الرستميون إلى فرقتين إحداهما تناصره وتدعى الوهبية، والأخرى تعارض أمر توليه السلطة فسميت نكارية، ورغم مقتل زعيم النكارية إلَّا أنَّه بقيت منهم جماعات متفرقة في القبائل، وقد ظهر فيما بعد منهم أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري المعروف بصاحب الحمار والذي قاد ثورة كبيرة ضدَّ العبيديِّين (الفاطميِّين). (انظر: حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص118-119).

وعن عمر دولتهم فقد عمرت حوالي قرنًا وثلاثين عامًا إلى أن أسقطت سنة 296هـ/909م من قبل العُبيديِّين (الفاطميِّين).

– الحياة الاجتماعية:

فئات المجتمع الرستمي كان أغلبها من السكان الأصليِّين للمغرب البربر، كما تواجد بتيهرت الكثير من المشارقة العرب منهم والفرس والأندلسيِّين والأوروبيِّين والأفارقة السود، بالإضافة إلى اليهود والنصارى الذين كانوا يزاولون الأعمال الاقتصادية والعلمية والفنية. وكان المجتمع الرستمي مقسم إلى طبقتين الطبقة الأولى تتمثل في وجوه البلد أو الخاصة وهي طبقة ثرية، والطبقة الثانية هي العامة وهي التي تمثل غالبية السكان من الطبقة المتوسطة والفقيرة، وعلى العموم فالروح السمحة التي امتاز بها الإباضيون كونت نوعًا من التَّضامن بين أفراد المجتمع الرستمي، ورغم تعدد الاتجاهات الدِّينيَّة والعرقيَّة فقد كان المجتمع يعيش في سلم وآمان خاصةً في المرحلة الأولى من عمر الدَّولة. وعلى العموم فقد خلَّف قيام الدَّولة الرستمية آثارًا اجتماعية في حياة سكان بلاد المغرب الأوسط، فقد تحولت مدينة تيهرت والعديد من المدن الرستمية مثل غدامس وورجلان وودان وزويلة من غابات وغياض وآجام للوحوش والزواحف إلى مدن عامرة آهلة بالسكان مزدانة بالعمائر والزروع، وترتب عن ذلك انتقال السكان من حياة البداوة والترحال إلى حياة الحضارة والاستقرار[22].

– الحياة الاقتصادية:

ازدهرت الزراعة لدى الرستميِّين نتيجة امتلاكهم مجالات ضخمة من الأراضي الزراعية وكذلك وفرة المياه لكثرة الوديان المحيطة بالعاصمة تيهرت، ومن منتوجاتهم نذكر الحبوب والفواكه بمختلف أنواعها خاصةً السفرجل، كما اشتهرت الدولة الرستمية بواحاتها الخصبة في وسط الصحراء أهمها

22- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص289 وما بعدها.

واحة ورجلان الغنية بنخيلها[23]، واشتهر الرستميون أيضًا بتربية المواشي نظرًا لوجود نطاقات رعوية واسعة، ويذكر ابن حوقل بأنَّ مدينة تيهرت كانت أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال[24].

أمَّا الصناعة فقد ازدهرت هي الأخرى لتوفر المواد الخام لمختلف الصناعات، فاشتهرت تيهرت بصناعة المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية والجلدية، وصناعة الطواحين التي أقاموها على الأنهار، كما تقدمت لديهم صناعة الأواني الفخارية والخزفية وخاصة ما يستعمل منها لغرس الأزهار، كما اشتهروا بالصناعة الزراعية كعصر الزيتون وصناعة العطور، كما عرف الرستميون بالصناعة المنجمية لتعدد المناجم الغنية بالحديد والزئبق[25].

وبالنِّسبة للتجارة فقد كانت الدَّولة الرستمية وبحكم موقعها المتوسط بين المغربين الأدنى والأقصى وبحكم علاقاتها الحسنة مع مدن بلاد السودان الغربي والأندلس وسجلماسة تحتل مركزًا تجاريًا ممتازًا في بلاد المغرب، فكانت سفن الأندلس تصل إلى موانئها بتنس ومستغانم ووهران مشحونة بالبضائع الأندلسية فتفرغها وتحمل منتجات الرستميِّين من منسوجات صوفية والعاج والجلود، كما كانت القوافل التجارية تصل إليها من فاس والقيروان وسجلماسة وبلاد كوكو في شمال السودان الغربي، وكان الرستميون يصدرون إلى بلاد كوكو وغانة المنسوجات الصوفية والكتانية والحرير والقوارير الزجاجية والأواني الخزفية البراقة والملونة والتحف المعدنية والعطور، وكانت تستورد من مدن السودان الغربي الذهب الخام والعاج وريش النعام وجلود الحيوانات[26].

– الحياة الفكرية:

كانت الدَّولة الرستمية ذات إشعاع حضاري وفكري وملتقى وفود طلاب العلم، وأنجبت هذه الرقعة الجغرافية الرستمية عددًا من العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء في المذهب الإباضي، تركوا

23- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص231-232.

24- ابن حوقل: **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص86.

25- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص232-233.

26- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص233 وما بعدها.

بصماتهم على كل جوانب الفكر الفقهي والفلسفي والجدل وعلم الكلام، وفي النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، وكان أئمتهم على قدر كبير من العلم، فعبد الرحمان كان مفسرًا وله تأليف في التفسير، وابنه عبد الوهاب ألف كتابًا يحوي قضايا دينية عنوانه مسائل نفوسة، كما كان يقضي ليله في دراسة علم الفرائض، ويذكر المؤرخون أنَّ ابنه أفلح تفوق عليه من الناحية العلمية وبلغ درجة عالية من معرفة الرياضيات وعلم الفلك، أمَّا أبو اليقظان الإمام الخامس فقد اشتهر هو الآخر بعلمه حيث ألَّف كتب ليرد على المخالفين. كما اشتهر الإباضيون بالمناظرات حيث كان أول مادة يدرسها الإباضي في صغره هي علم المناظرة الذي كان يتطلب معرفة جيدة باللغة العربية والقرآن والحديث وعلم الحقوق واللاهوت، ولقد دعيت مدينة تيهرت بعراق المغرب وشبهت بعواصم المشرق الإسلامي والأندلس، وكانت بتيهرت مكتبة المعصومة التي كانت تضم حوالي ثلاثة مئة ألف مجلد في مختلف العلوم والفنون، وقد خربها وأحرقها العُبيديون (الفاطميون)[27].

– العلاقات الخارجية:

اتسمت العلاقات بين الرستميِّين والأدارسة بالعداء نتيجة خلافاتهم المذهبية والاجتماعية والسِّياسيِّة، فالأدارسة سنة مالكية أما بنو رستم فكانوا خوارج إباضية، وقد كان الأدارسة يغيرون على أملاك الدَّولة الرستمية لمحاولة اقتطاع أجزاء منها، ونجحوا في الاستيلاء على تلمسان سنة 173هـ/790م، كما حاكوا المؤامرات لبني رستم حيث كانوا وراء تمرد الواصليِّين على الإمام عبد الوهاب سنة 195هـ/811م، وأغلب الظن أنَّ ثورات قبيلة هوارة على الرستميِّين لم تخل من تحريض الأدارسة، وعن رد فعل الرستميِّين الذي لم يكن قويًا فقد قام الإمام عبد الوهاب بتحريض أصهاره من بني يفرن على الثورة ضدَّ الأدارسة فنجحوا في ثورتهم مدة إلى أن أخضعهم بصورة نهائية إلى نفوذ فاس الإمام إدريس الثَّاني سنة 197هـ/813م. وهكذا اتسمت علاقات بني رستم السِّياسيَّة مع

27- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص235 وما بعدها ؛ عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي: **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د.ت، ص157 وما بعدها.

الأدارسة بطابع العداء وأسفر الصراع بين الدَّولتين عن تغلب الأدارسة واستكانة الرستميِّين لأنهم لم يتمكنوا من مجاراتهم في تدبير المكائد وإحداث الشقاق[28].

وفيما يخص علاقتهم مع جيرانهم الأغالبة فقد قرر الرستميون اتباع سياسة التعايش السلمي مع دولة الأغالبة وهي الجار الأقوى على حدودهم الشرقية، بالرغم من خلافاتهم المذهبية ومسألة موالاة الأغالبة لأعدائهم العباسيِّين، وانتهاج الرستميِّين للتعايش السلمي يرجع في حقيقة الامر إلى طبيعة الحدود المشتركة بين الدَّولتين، إذ تطوق دولة الأغالبة الدَّولة الرستمية من الشرق والجنوب وحتَّى من الغرب لما احتل الرستميون طرابلس وما جاورها، ولم تكن هذه الحدود واضحة المعالم. وهذا التعايش السلمي لا يعني أنَّه لم يكن هناك عداء بينهما، بالرغم من كون الأغالبة لم يستطيعوا الإفصاح عن هذا العداء كما فعلوا مع باقي الدول المعادية للخلافة العباسية لذا عمدوا إلى تشجيع القلاقل والخلافات التي كانت تظهر بين الحين والآخر في مجتمع الدولة الرستميَّة[29].

وعن علاقة الرستميِّين بالأمويِّين في الأندلس فقد كانت علاقة ودية، على اعتبار أنَّهما يملكان عدوًا مشتركًا وهم العباسيون، وقد قامت بين قرطبة وتيهرت علاقات تجارية وكانت السفن تتردد على مدينتي وهران والمرية، وكانت تيهرت تضم جالية كبيرة من أهل الأندلس، وكان لأفلح بن عبد الوهاب مع أمراء بني أمية مودة كبيرة حيث كانوا يتبادلون الهدايا النَّفيسة[30].

وبالنِّسبة لعلاقتهم مع العباسيِّين فقد كانت علاقة عداء لأنَّ الرستميِّين اقتطعوا جزءًا من ممتلكات العباسيِّين بالمغرب، ولوجود عداء تقليدي بين الخلافة العباسية السنية وبين الإباضية باعتبار أنَّهم فرقة من الخوارج، ورغم هذا العداء فقد كانت هناك فترات من السلم والموادعة بين الدَّولتين ساهم في وجود علاقات ثقافية تمثلت في الصِّلة القوية بين الرستميِّين وإباضية المشرق خاصةً أهل البصرة الذين كانوا من الناحية الشكلية من رعايا الدَّولة العباسيَّة. ونفس العلاقات بالتَّقريب كانت

28- سعدون عبَّاس نصر الله: **دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835م**، دار النَّهضة العربية للطِّباعة والنَّشر، بيروت، 1987م، ط1، ص166 وما بعدها.

29- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص196 وما بعدها.

30- عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي، **المرجع السَّابق**، ص157.

بين الرستميِّين والطولونيِّين بمصر التابعين للخلافة العباسية، إلَّا أنَّ السلم كان مع الطولونيِّين أفضل حيث حرص الرستميون على حسن الجوار معهم لأنَّ مصر تمثل الجار الشرقي والمنفذ الوحيد لهم إلى شرق العالم الإسلامي، إلَّا أنَّه يلاحظ أنَّ العلاقات السِّياسية كانت ضعيفة في حين نشطت العلاقات التِّجارية والثقافية ومرجع ذلك أنَّ مصر كانت موالية للخلافة العباسية[31].

عنوان المحاضرة: الدَّولة الإدريسيَّة في المغرب الأقصى

– تأسيس الدَّولة:

الأدارسة نسبة إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين) وقد فر إدريس الأوَّل من الجيش العباسي بالمشرق على إثر هزيمة العلويِّين في معركة فخ[32] يوم السبت الثامن من شهر ذي الحجة سنة 169هـ/10 جوان 786م[33] ودخل إلى المغرب الإسلامي، وهناك روايتين لكيفية دخوله إلى بلاد المغرب والأقرب منها إلى الحقيقة أنَّه دخل رفقة مولاه راشد عن طريق مصر حيث ساعده رجلًا يدعى واضح مولى صالح بن المنصور ويُعرف "بالمسكين" وكان هذا الرجل يميل إلى العلويِّين حيث أمنَّ له الطريق للوصول إلى القيروان ثمَّ إلى مدينة تلمسان وارتحل بعدها

31- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص187 وما بعدها.

32- من فِجاج مكة، وقيل من وديانها، بينهما ثلاثة أميال وقيل ستة، ويذكر بأنَّ النبي محمَّد صلى الله عليه وسلم اغتسل بها قبل دخوله مكة. (انظر: الحموي: **مُعجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م، مج4، ص237-238 ؛ الحِميري: **الرَّوضُ المعطار في خبر الأقطار**، حقَّقه إحسان عبَّاس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص436-437).

33- يرى ابن الأثير وابن خلدون أنَّ معركة فخ كانت يوم التروية الموافق ليوم السبت الثامن ذي الحجة 169هـ/10 جوان 786م وهو الأرجح، بينما يرى الحموي والحِميري أنَّها كانت في شهر ذي القعدة سنة 169هـ/ماي 786م. (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، مج5، ص267 ؛ **تاريخ ابن خلدون**، ج4، ص10-11 ؛ **مُعجم البلدان**، مج4، ص237 ؛ **الرَّوض المعطار**، ص436).

إدريس إلى طنجة ونزل في مدينة وليلي سنة 172هـ/789م وكانت هذه المدينة منطلقًا لنجاح دعوته وتأسيس دولته[34].

وقد ساعدته قبيلة أوربة في ذلك عندما بايعوه بالإمامة في شهر رمضان سنة 172هـ/فيفري 789م ثمَّ توالت القبائل الأخرى في مبايعته لحبهم لآهل البيت[35].

وفي حدود سنة 192هـ/808م في عهد إدريس الثَّاني تمَّ بناء مدينة فاس لتصبح عاصمة للدَّولة الإدريسيَّة، وقد انتقل إليها النَّاس وعمروها وشيَّدوا مبانيها، وقد شملت دولتهم شمال المغرب الأقصى وبعض المدن من المغرب الأوسط كتلمسان وما جاورها[36].

واتبعت الدَّولة الإدريسيَّة النِّظام الوراثي حيث حكمها أربعة عشر حاكمًا كلهم من نسل إدريس الأوَّل، ويلاحظ على هذه الدَّولة أنَّها لم تنشأ على يد الدعاة، ولا كان لها تنظيم سري ولا حمل السلاح كما هو الحال بالنَّسبة للصفريَّة والإباضية والعُبيديِّين (الفاطميِّين)[37]، وبالنسبة للمذهب المتبع فالدَّولة الإدريسيَّة لم تكن شيعية (رافضية) وإنَّما كانت تجمع بين التَّسنن والاعتزال في بداياتها الأولى، ثمَّ طغى المذهب السني المالكي عليها فيما بعد، وقد كان إدريس الأوَّل يقول نحن أحق باتباع مذهب مالك وقراءة كتابه وذلك لرواية الإمام في الموطأ عن والده عبد الله الكامل[38]، ومن الأدلة التي تثبت ذلك كون الأدارسة لم يرتكبوا أي أعمال إجرامية في حق أهل السنة كما فعل العُبيديون الشيعة الروافض.

34- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج5، ص268 ؛ ابن أبي زرع: **الأنيس المُطرِب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطِّباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص15 وما بعدها ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص11 ؛ محمود إسماعيل، **المرجع السَّابق**، ص34-35.

35- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج5، ص268 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص11.

36- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص211 ؛ سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص149 وما بعدها.

37- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص115 وما بعدها.

38- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ص186.

وبالنِّسبة لنهاية الدَّولة الإدريسيَّة بصفة نهائية فقد كان سنة 375هـ/985م على يد العُبيديون الذين هزموهم في سنة 296هـ/909م فأعادوا بعث دولتهم ثمَّ هزموهم سنة 305هـ/917م ثمَّ سنة 309هـ/921م، وفي سنة 313هـ/925م مكنوا موسى بن أبي العافية المكناسي من الاستيلاء على دولتهم، وتوالت هزائمهم تباعًا إلى أن تمَّ القضاء عليهم نهائيًا سنة 375هـ/985م[39].

– الحياة الاجتماعية:

يمثل البربر السواد الأعظم من السكان، يليهم العرب ثمَّ أقليات من السودان الغربي واليهود الذين لم يكن لهم وزن في الحياة السِّياسيَّة، وقد عمل حكام الدَّولة على المساواة بين كافة العناصر والأجناس وأحدثوا انقلابًا في موازين القوى الاجتماعية بالمغرب الأقصى، إذ وقف البربر لأول مرة على قدم المساواة مع العرب في تولي مناصب سامية في الدَّولة مثل الوزارة وقيادة الجيش وغيرها، وفيما يخص حياة السكان فقد كانت آمنة حيث تحولت القرى إلى مدن كبرى عامرة، وتحول الناس من حياة البداوة والتِّرحال إلى حياة الحضارة والاستقرار. وقد ضرب الأئمة الأدارسة المثل لرعاياهم وذلك بمبادرتهم إلى تفقد أحوالهم الصحية والمعاشية، وكان الإمام يعود المرضى ويواسيهم وكذلك الفقراء والأيتام والأرامل اللواتي فقدن أزواجهن في الحرب. وقد جعلت هذه الأعمال سكان المغرب يرفعون أئمتهم الأدارسة إلى مستوى القديسين فنسبوا إليهم المعجزات حتى بعد وفاتهم[40].

39- عن كيفية سقوط الدَّولة الإدريسيَّة والأسباب التي أدت إلى ذلك. (انظر: محمود إسماعيل، **المرجع السَّابق**، ص83 وما بعدها.

40- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص117-118.

– الحياة الاقتصادية:

كانت مزدهرة فقد اهتم الأدارسة بالزراعة حيث استفادوا من مياه الأمطار والمياه الجارية في الوديان، فمدينة فاس بها نهر يشقها نصفين وعلى مسافة ميلين منها يوجد وادي سبو اللَّذين يسقيان جناتها وبساتينها[41].

وقد شقا الأدارسة القنوات واهتموا بزراعة الحبوب خاصة القمح والشعير والذرة، واشتهرت مدنهم بطيب ثمارها خاصةً عاصمتهم فاس التي أنتجت الرمان والسفري والتين والعنب والخوخ والجوز والعناب والأترش والسفرجل وسائر الفواكه الخريفية وتأتي من عُدوة القرويِّين، وتختص عُدوة الأندلسيِّين بالتفاح وأصناف الكمثري والمشمش والبرقوق والتوت[42].

كما اهتم الأدارسة بتربية الماشية، حيث شهد قطاع الرعي تطورًا هامًا، ليس أدل على ذلك مما روي عن أسواق مدينة أغمات التي كان يذبح بها مائة ثور وألف شاة كل أسبوع، ناهيك عن وفرة الألبان ومنتجاتها التي اشتهرت بها سائر أقاليم المغرب الأقصى[43].

واهتم الأدارسة بالصناعة وعملوا على تطويرها مغتنمين فرصة وجود عدد من الحرفيِّين العرب واليهود والفرس، وأهم الصِّناعات كانت صناعة المواد الغذائية من طحن الحبوب وعصر الزيتون وصناعة الصابون والسكر، كما ازدهرت صناعة النَّسيج منها زي شعبي يسمى السفاري وكذلك التِّلمساني، وازدهرت أيضًا صناعة الأسلحة للدِّفاع عن النفس فأتقنوا إنتاج الدِّرق والسيوف والخناجر والأقواس والألبسة الصوفية الخشنة التي كانت بمثابة دروع، كما اهتم الأدارسة بالصِّناعات المنجمية واحتكرت الدَّولة بعضها كمناجم الفضة، وأوكل معظمها كمناجم النحاس إلى الأفراد والجماعات

41- ابن أبي زرع، **المصدر السَّابق**، ص33-34.

42- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص161.

43- محمود إسماعيل، **المرجع السَّابق**، ص73.

لاستغلالها مقابل خُمس الإنتاج. وليس أدل على ازدهار الصناعات والحرف من ذيوع ظاهرة التَّخصص وظهور الأصناف خاصةً في المدن الهامَّة كفاس[1].

بديهي أن تروج التجارة الداخلية والخارجية كنتيجة للازدهار الزراعي والرعوي والصناعي، فضلًا عن إقرار الأمن وصيانة الطرق، الأمر الذي شجَّع حركة التجارة الداخلية في الأسواق الموسمية والدائمة، وحقَّق وحدة اقتصادية متكاملة، وانصهارًا اجتماعيًا متجانسًا، فاختفت النِّزاعات الاقليمية والإثنية والمذهبية، كما راجت التجارة الخارجية خاصةً مع بلاد السودان الغربي حيث الذهب والرقيق، ومن أهم السلع المصدرة إلى هذه البلاد الجلود التي اشتهرت بها فاس وأغمات والأدوات الخشبية التي أنتجتها بلاد الريف، كما سمحت موانئهم في البحر الرُّومي (البحر الأبيض المتوسط) وبحر الظلمات (المحيط الأطلسي) بتسهيل التجارة الخارجية مع بلاد الأندلس ودول المغرب والمشرق الإسلاميين، وكانت الأندلس تستورد بالخصوص الأخشاب من المغرب الأقصى دون تصنيع لاستخدامها في بناء السفن[2].

– الحياة الفكرية:

كان عهد الأدارسة بالمغرب عهد عمارة وتأسيس، فإنَّهم كثيرًا ما أنشئوا مدنًا مزدهرة ومبانٍ فخمة خاصةً بمدينة فاس عاصمة دولتهم، وفي مدينتي سبتة ووليلي وغيرهما، فبالنِّسبة لمدينة فاس فقد كانت مدينتين بينهما نهر، المدينة الشمالية تسمى عُدوة القرويِّين (نسبة لأهل القيروان) والمدينة الجنوبية تسمى عُدوة الأندلسيِّين (نسبة لأهل الأندلس)[3] وقد أسس الأدارسة مؤسَّسة علمية ضخمة ضخمة بفاس كثر وفود العلماء وطلبة العلم عليها من كل ناحية وصوب خاصة من أهل القيروان والأندلس، وهي جامعة القرويِّين سنة 245هـ/859م والتي تُعد من أقدم الجامعات بعد جامعة

1- محمود إسماعيل، **المرجع السَّابق**، ص73-74.

2- محمود إسماعيل، **المرجع السَّابق**، ص74.

3- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص31-32 ؛ عبد الهادي التَّازي: **التَّاريخ الدِّيبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الدَّولة الإدريسيَّة**، مطابع فضالة، المحمدية، 1987م، مج4، ص 21-22.

الزيتونة بتونس وقد أسستها امرأة بربرية من قبيلة هوارة هي فاطمة بنت محمَّد الفهري المعروفة بأم البنين[1].

– العلاقات الخارجية:

تأثرت سياسة الأدارسة الخارجية بوضع دولتهم الجغرافي ومذهبها الدِّيني وظروفها السياسية. ولقد تطرقنا سابقًا للحديث عن علاقة الأدارسة مع الدَّولتين المدرارية والرستمية، وسأتحدث الآن عن علاقاتها مع الخلافة العباسية بالمشرق ودولة الأغالبة بالمغرب، وكذلك علاقتها مع الخلافة الأموية بالأندلس والعُبيديِّين (الفاطميِّين) بالمغرب.

فقد كانت علاقتهم مع الخلافة العباسية علاقة عداء شديد، فالعداء الذين كان بين أبناء العمومة العباسيِّين والعلويِّين في المشرق استمر أكثر حدة لما أسَّس الأدارسة العلويِّين دولتهم في المغرب الأقصى، وقد حاول الخليفة العباسي هارون الرشيد القضاء على هذه الدَّولة الناشئة خاصةً بعد أن امتدت حدودها إلى المغرب الأوسط ولكن بُعد العراق حال دون إرسال الجيوش، ومن مظاهر هذا العداء الشديد بين الطرفين تلك الرِّسالة الخطيرة والهامَّة التي أرسلها إدريس الأوَّل إلى أهل مصر يذكرهم فيها بفضائل أهل البيت ويصف التَّضحيات الغالية التي بذلوها في سبيل حقهم الشرعي ويطالبهم بتأيِّيده ومساندته[2]، وقد أقلقت هذه الرِّسالة كثيرًا الخليفة الرشيد فسارع للتَّخلص من الإمام إدريس حيث أرسل أحد جواسيسه "سليمان بن جرير الشماخ" الذي تمكن من اغتياله بالسم، ثمَّ اغتيال راشد مولى الإمام إدريس، ومع هذا لم يستطيعوا القضاء على دولة الأدارسة وهم في أوج عزهم وقوتهم، عند ذلك عزموا على التآمر المباشر وكلفوا ولاتهم الأغالبة في إفريقية بهذه المهمة، واستمرت العلاقات العدائية حتَّى سقوط الدَّولة نهائيًا ولم تشهد أي نوع من التَّقارب[3].

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص54 وما بعدها ؛ عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ص188.

2- عبد الهادي التَّازي، **المرجع السَّابق**، مج4، ص39 وما بعدها.

3- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص163.

وفيما يخص علاقتهم مع دولة الأغالبة فمن الطبيعي أن تكون امتدادًا لعلاقات بغداد بفاس فدولة الأغالبة كانت تدين بالولاء السِّياسي والتبعية الاسمية للخلافة العباسية على الرغم مما تمتعت به من استقلال ذاتي، ولقد فرضت الظروف الجغرافية والسِّياسيَّة على الدَّولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلًا عدائيًا ولكن هذا العداء لم يبلغ حد القتال وتجهيز الجيوش لوجود فاصل بينهما هو دولة بني رستم الخارجية[1].

وعن علاقة الأدارسة بالأمويِّين بالأندلس فقد اتسمت هي الأخرى بالطابع العدائي على العموم نتيجة العداء الموروث في المشرق بين الأمويِّين والعلويِّين، ورغم ذلك لم يحدث التَّصادم الحربي بينهما لأنَّهما يملكان عدوًا مشتركًا وهو الخلافة العباسيَّة بالمشرق وحليفتهم دولة الأغالبة بالمغرب، فكلا الدَّولتين خضعتا لسياسة الاعتراف بالأمر الواقع، واقتصرت مظاهر العداء بينهما على حيك المؤامرات والمكائد والتَّجسس وتشجيع المنتزين، وقد حرص الطرفين رغم ذلك على توطيد العلاقات الاقتصادية إذ حرص أمويو الأندلس على أن تظل أسواق المغرب الأقصى مفتوحة أمام بضائعهم فضلًا عن الفوز بنصيب من تجارة السودان الغربي عن طريق تجار الأدارسة[2].

وبالنِّسبة لعلاقة الأدارسة بالعُبيديِّين (الفاطميِّين) فقد كانت علاقة حرب وتصادم، على اعتبار أنَّ العُبيديِّين أسقطوا دولة الأدارسة سنة 296هـ/909م، وبإحياء الأدارسة لدولتهم تجددت المعارك بين الدَّولتين إلى أن سقطت دولة الأدارسة بصفة نهائية سنة 375هـ/985م. وعلى العمو فقد اتسمت علاقتهما بالعداء ولكن تخللتها نوع من المرونة لكون الأدارسة كانوا بين مطرقة العُبيديِّين وسندان الأمويِّين بالأندلس فقد وقفوا موقف المتردد تارةً يؤيدون العبيديِّين وأخرى يناصرون الأمويِّين حسب مقتضى الحال مستهدفين بذلك مجرد البقاء والاستمرار[3].

1- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص163-164.

2- محمود إسماعيل، **المرجع السَّابق**، ص149 وما بعدها.

3- محمود إسماعيل، **المرجع السَّابق**، ص159 وما بعدها.

عنوان المحاضرة: الدَّولة الأغلبيَّة في المغربين الأدنى والأوسط

– تأسيس الدَّولة:

ثار الأهالي على والي القيروان محمَّد بن مقاتل العكي لكونه كان حاكمًا ظلومًا طاغيًا وآزرهم في ثورتهم عامله على تونس تمام بن تميم، وعندما لم يقدر ابن مقاتل العكي الصمود أمام هذه الثورة فرَّ إلى طرابلس وبعث إلى إبراهيم بن الأغلب حاكم إقليم الزاب بمدينة طبنة يطلب النجدة منه، فلبى إبراهيم النجدة عام 183هـ/799م فأعاد الأمن إلى نصابه، وأعاد ابن مقاتل إلى مركزه كوالي على القيروان، ولكن الأهالي كرهوا حكمه ورفضوا إعلان الولاء والطاعة له وطلبوا من إبراهيم أن يتولى شؤونهم، فكتب بذلك إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي أجاب رغبته ورغبتهم وكافأه على حسن بلائه وجهوده وعقد له ولأبنائه من بعده بولاية العهد على إفريقية مقابل خراج سنوي تدفعه إمارته إلى الخليفة ببغداد مقداره أربعون ألف دينار وذلك عام 184هـ/800م، فأنشأ إبراهيم بن الأغلب مدينة العباسية[1] على ثلاثة أميال من القيروان واتخذها عاصمةً لدولته[2].

وهكذا ظهرت الدَّولة الأغلبيَّة التي تمتعت بشبه استقلال ذاتي تستظل بالخلافة العباسية، حيث كان الأغالبة يذكرون اسم الخليفة على المنابر ويرسلون له خراجًا سنويًا، وينقشون اسمه على السكة[3].

وقد امتدت حدود الدَّولة الأغلبية من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط (الجهة الشرقية منه) وإلى بلاد الزاب في الجنوب، واتبعت الحكم الوراثي حيث اقتصر الحكم على أسرة إبراهيم بن الأغلب

1- نشير إلى أن الأغالبة اتخذوا مدينة العباسية عاصمة أولى لدولتهم وقد سميت بهذا الاسم تعبيرًا عن ولائهم للعباسيِّين ثمَّ سميت بالقصر القديم، وقد نقلوا العاصمة فيما بعد إلى القيروان كما نقلت إلى مدينة رقادة التي سميت بالقصر الجديد في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد بن محمَّد بن الأغلب. (انظر: ابن وردان: **تاريخ مملكة الأغالبة**، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمَّد زينهم محمَّد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988م، ط1، ص40-41 ؛ حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص97-98 ؛ عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي، **المرجع السَّابق**، ص122).

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، ج5، ص313 ؛ ابن وردان، **المصدر السَّابق**، ص30 وما بعدها.

3- ابن وردان، **المصدر السَّابق**، ص33 .

وحكم منهم أحد عشر أميرًا[1]، واستمرت هذه الدَّولة قائمة حوالي قرن من الزمن حيث قضى عليها العُبيديون (الفاطميون) سنة 296هـ/909م[2].

واهتم الأغالبة بالجهاد البحري حيث وجهوا حملات عديدة لفتح جزر البحر الأبيض المتوسط، ففتحوا جزيرة صقلية سنة 212هـ/827م بقيادة أسد بن الفرات في عهد الأمير زيادة الله الأوَّل ونشروا الحضارة الإسلامية فيها، كما فتحوا جزيرة مالطة عام 255هـ/869م في عهد الأمير محمَّد الثاني أبي الغرانيق، كما فتحوا عدة جهات جنوب شرق إيطاليا وأرغموا البابا على دفع غرامة مالية كبيرة لهم سنة 262هـ/876م[3].

– الحياة الاجتماعية:

سكن إفريقية في العصر الأغلبي أخلاط بشرية مختلفة ويمكننا أن نميز منها خمسة عناصر: البربر، العرب، الفرس، الروم، والأفارقة السود، وبالنَّسبة للبربر فهم يمثلون السواد الأعظم من سكان إفريقية، وقد ساهموا في فتح جزيرة صقلية في عهد زيادة الله الأوَّل الذي شغلهم بحرب الروم كي لا يثرون ضده، وفيما يخص العرب فقد كان بنو تميم المستقرون في تونس يتمتعون بامتيازات كبيرة في عصر الأغالبة لانتسابهم إليهم. وعلى العموم فإنَّ الأغالبة استطاعوا أن يتعايشوا مع مختلف العناصر السكانية رغم بعض الاضطرابات والثورات التي كانت تقوم هنا وهناك ضدَّ سياسة الحكام، وقد قامت كل طائفة بدورها المنوط بها، وغلب على المجتمع الأغلبي عامةً والقيرواني خاصةً التَّدين، ونشأ مجتمع محلي عماده الفقهاء والقضاة وأهل الزهد[4].

1- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص95 وما بعدها.

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج5، ص455 وما بعدها ؛ ابن وردان، **المصدر السَّابق**، ص34 ؛ عبد الله محمَّد جمال الدِّين: **الدَّولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش**، دار الثقافة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1991م، ص45 وما بعدها.

3- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص111 وما بعدها ؛ عبد العزيز الثعالبي، **المرجع السَّابق**، ص220 وما بعدها.

4- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص111-112.

ومن أبرز سمات المجتمع الإسلامي في إفريقية في العصر الأغلبي تماسك هذا المجتمع في عقيدة واحدة ومذهب واحد، هو مذهب أهل السنة أما الخوارج فكانوا قلة في هذا المجتمع لا تأثير لهم في تطور شؤونه[1].

– الحياة الاقتصادية:

ازدهرت الحياة الاقتصادية بالمغرب الأدنى في العصر الأغالبي فلم تعرف هذه البلاد منذ العصر الروماني مثل هذا الازدهار، ففي ظل توفر الأمن أحس المزارعون بالاستقرار النسبي فاهتموا بالزراعة فكثر بذلك الإنتاج، ولم تتعرض إفريقية في عهد الأغالبة للقحط والمجاعات إلّا في النادر، ومن بين المحاصيل الزراعية التي زرعها الناس كثيرًا الزيتون والقمح والفول والشعير، وقد اشتهرت افريقية أكثر في ذلك العهد بالزيتون والفواكه[2].

وبالنِّسبة للصناعة وبفضل توفر المعادن لاسيما الفضة والحديد والرصاص خاصةً بمدينة مجانة ازدهرت الصناعة في عصر الأغالبة، وأهمها صناعة الآلات الحديدية اللازمة لصناعة السفن والسيوف والسروج ولجم الخيل وصناعة التحف من الذهب والفضة، وصناعة الزجاج حيث كان في القيروان حيًا خاصًا بالزجاجيِّين، كما اهتم الأغالبة بصناعة الخزف التي تأثرت بالتقاليد العراقية حيث كانت ترد على القيروان القراميد المذهبة البغدادية لتزيين قصور الأمراء، كذلك اشتهرت إفريقية بصناعة السجاد والمنسوجات وأهمها الثياب السوسية الرفيعة الناصعة البياض[3].

وفيما يخص التجارة فقد ازدهرت بالقيروان على الخصوص وكثرت في أيدي أهلها الأموال بسبب التجارة، وكانت القوافل التجارية تسير في الطرق المؤدية إلى إفريقية والمغرب آمنة مما يدل على الرخاء الاقتصادي، وباتخاذ الأغالبة عملة خاصة بهم سهل عليهم المبادلات التجارية مع جيرانهم، كما ساهمت الموانئ المتواجدة في سوسة وتونس وبجاية أيضًا في ازدهار التجارة. وقد باع الأغالبة لمصر

1- عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي، **المرجع السَّابق**، ص133.

2- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص113.

3- ابن وردان، **المصدر السَّابق**، ص42 وما بعدها ؛ عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي، **المرجع السَّابق**، ص133.

القمح والشعير، وباعوا الرقيق السوداني إلى بلاد الشام، كما كانوا يصدرون النسيج والأبسطة والأقمشة الفاخرة إلى بغداد، واستوردوا بعض المحاصيل الزراعية من بلاد المشرق مثل القطن وقصب السكر[1].

– الحياة الفكرية:

ازدهرت الحياة الثقافية عند الأغالبة ازدهارًا عظيمًا، وكانت القيروان في عهدهم عاصمة المغرب ومنبعًا للدِّين والحضارة الإسلامية وقاعدة للفكر السني المالكي، فقد ظهر علماء كثيرون في القيروان على المذهب المالكي مثل أسد بن الفرات وسحنون بن حبيب وغيرهم. ويذكر المؤرخون بأنَّ الأغالبة أنشئوا بمساجد القيروان حلقات التَّدريس، وأنشئوا مدارس جامعة أطلقوا عليها اسم مدارس دور الحكمة، واستقدموا لها الأساتذة من المشرق الإسلامي، وازدهرت بذلك مختلف العلوم العقلية والنقلية مثل علوم القرآن والحديث، وعلم الفقه والتشريع وغيرها، ولم يقتصر الازدهار الثقافي الأغلبي على مدينة القيروان فحسب بل شمل هذا الازدهار مدن أخرى خاصةً صقلية حيث نشر المسلمون فيها الحضارة الإسلامية، فجعلت النورمانديِّين الذين خلفوا المسلمين في حكمها سنة 484هـ/1091م يأخذون عن المسلمين نظامهم الإداري ويقتبسون العناصر الأساسية للثقافة الإسلامية في حياتهم الفكرية، كما برز جامع الزيتونة بتونس الذي أنشأه الوالي عبد الله بن الحبحاب سنة 114هـ/732م وطوره الأغالبة وجعلوه منارةً للعلم[2].

– العلاقات الخارجية:

بطبيعة الحال فقد كانت علاقة الأغالبة بالعباسيِّين علاقة ولاء لأنَّ دولتهم تابعة للخلافة العباسيَّة وتتمتع بشبه استقلال ذاتي، وكانت علاقتهم بالأمويِّين في الأندلس امتدادًا لعلاقة العباسيِّين

1- عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي، **المرجع السَّابق**، ص133.

2- ابن وردان، **المصدر السَّابق**، ص35 وما بعدها ؛ حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص111 وما بعدها.

بالأمويِّين، فقد تميزت بالعداء الشديد وصلت إلى حد الإغارة على أملاك الأغالبة وتخريب مدنها، وإن كنا مع ذلك نذكر مساعدة أسطول الأمويِّين في الأندلس للأغالبة أثناء فتح صقلية[1].

وفيما يخص علاقتهم مع العُبيديِّين (الفاطميِّين) فهي علاقة عداء وحروب، ومعلوم بالضرورة أنَّ الفاطميِّين هم الذين أسقطوا دولة الأغالبة بصفة نهائية سنة 296هـ/909م وملكوا أراضيها[2].

وبالنِّسبة لعلاقة الأغالبة مع دولة الطولونيِّين بمصر، كانت ودية على اعتبار أنَّ كلا الدَّولتين تخضعان للخلافة العباسيَّة وتقر بسلطانها وتدفع لها قدرًا من المال، ولم تحدث بينهما حروب إلَّا في سنة 267هـ/881م حينما قاد العباس بن احمد بن طولون حملة عسكري للاستيلاء على إفريقية ولكن الأغالبة استطاعوا هزيمته وانتهت الحملة بالفشل[3].

وعن علاقة الأغالبة بالعالم المسيحي فقد كانت شديدة العداء، وقد بدأ هذا العداء سنة 206هـ/821م حيث شنت السفن الأغلبية عدة غارات على سردينية عادت محملة بالغنائم، وشن الفرنجة بدورهم غارات على افريقية، ووصلت غارتهم حتى مشارف أبواب القيروان، واشتد العداء بينهم بعد حملة الأغالبة على صقلية واستيلائهم عليها سنة 212هـ/827م وعبورهم مضيق مسينا إلى شبه الجزيرة الإيطالية التي كان يخضع معظمها للإمبراطورية الكارولنجية[4].

1- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص136-137 .

2- عبد العزيز الثعالبي، **المرجع السَّابق**، ص309 وما بعدها.

3- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص137 وما بعدها.

4- عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي، **المرجع السَّابق**، ص129 وما بعدها.

عنوان المحاضرة: الدَّولة العُبيديَّة (الفاطميَّة) في المغرب الإسلامي

– بداية الدَّعوة وتأسيس الدَّولة:

تمكن الداعي أبو عبد الله الشيعي من دخول بلاد المغرب الإسلامي في حدود سنة 288هـ/901م مع جماعة من قبيلة كتامة تعرَّف عليها في الحج[1]، ودخل معهم إلى بلادهم بالمغرب الأوسط في زي معلم القرآن، ولما استقر به المقام وكوَّن جيشًا قويًا أفصح عن دعوته وشرع في تهيئة الأرضية لتأسيس دولة على المذهب الشيعي، ثمَّ أرسل إلى إمامه عُبيد الله المهدي الذي كان متخفيًا بقرية سلمية القريبة من حِمص ببلاد الشام للقدوم إليه، فجاء متخفيًا إلى بلاد المغرب فاستقر بالقيروان، وعندما أحس بالخطر فرَّ إلى سجلماسة بالمغرب الأقصى ودخلها في زي التجار، وبقي فيها يتحرك كما يريد إلى أن وصل الأمر إلى الخليفة العباسي والأغالبة يخبرون بني مدرار بأمر هذا الرجل وخطورته فألقوا عليه القبض وسجنوه. ولمَّا تمكن أبو عبد الله الداعي من الانتصار على الأغالبة سنة 296هـ/909م توجه بعساكره إلى سجلماسة وفي طريقه أطاح بالدَّولتين الرستميَّة والإدريسية وحاصر سجلماسة مدةً طويلةً وفي النهاية دخلها وأخرج عُبيد الله المهدي من السجن وعاد به إلى القيروان، وبايعه رفقة جيشه بالإمامة وبذلك تظهر الدَّولة العُبيديَّة (الفاطمية) للوجود، والتي اتخذ حكامها من مدينة المهدية بالمغرب الأدنى عاصمةً لدولتهم[2].

وقد أسقطت هذه الدَّولة كل دُول بلاد المغرب الأغلبية، الرستمية، المدرارية والإدريسية وملكت بذلك بلاد المغرب قاطبةً وهذا في حدود 296هـ/909م، كما ملكت جزيرة صقلية، وقد اتبعت هذه الدَّولة النظام الوراثي حيث كان الحكم في عقب عُبيد الله المهدي، واتخذت من المذهب

1- جاء أبو عبد الله الداعي إلى بلاد المغرب استجابةً لأمر معلمه باليمن ابن حوشب الذي سمع بوفاة كبار دعاة الشيعة الحلواني وأبي سفيان في بلاد المغرب، فأعطاه مالًا وقال له "إنَّ أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنَّها موطأة ممهدة لك" (انظر: ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص450 ؛ عبد الله محمَّد جمال الدِّين، **المرجع السَّابق**، ص41-42).

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص450 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص149 وما بعدها ؛ علي حُسني الخربوطلي: **أبو عبد الله الشيعي مؤسِّس الدَّولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، 1972م، ص31 وما بعدها.

بالمذهب الشيعي الإسماعيلي مذهبًا رسميًا للدَّولة[1]، وادعى مؤسسها بأنَّه من نسل فاطمة الزهراء كما ادعى بأنَّه المهدي المنتظر وأنَّه الإمام المعصوم لكي يخدع النَّاس ويستميلهم إليه، وينفي بعض المؤرخين انتسابه لفاطمة الزهراء وقيل بأنَّه ابن ميمون القداح الديصاني المجوسي[2].

– ثورة السنيِّين والإباضيِّين على العُبديِّين:

عندما استقر المقام بعبيد الله المهدي في بلاد المغرب وأحس جفاء من أبو عبد الله الداعي وأخيه قتلهما وأظهر مذهبه الشيعي الإسماعيلي الرافضي[3]، فوجد معارضة شديدة من السنيِّين والخوارج الذين قاموا بثورات عديدة ضدَّ هؤلاء الظلمة، أشهرها ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي الملقب بصاحب الحمار، وقد دامت ثورته أربع سنوات (332-336)هـ/(944-948م) وقامت هذه الثورة للأسباب التالية:

– فرض المذهب الإسماعيلي الشيعي الرافضي على المغاربة بالقوة.

– محاربة المذهب السُني والإباضي معًا.

– إجماع علماء القيروان وسائر بلاد المغرب على تكفير العُبيديِّين وأنهم زنادقة.

– إفتاء علماء القيروان بجواز التعاون مع الخوارج الإباضية ضدَّ الزنادقة العُبيديون.

– ارتكاب العُبيديِّين أعمال إجرامية شنيعة ضدَّ أهل السنة ببلاد المغرب، فقد قتلوا الكثير من العلماء والفقهاء والرعية، ومن بين أعمالهم الإجرامية التي لا تعد ولا تحصى أنَّ الإمام الثاني القائم بن عُبيد الله المهدي كان مناديه ينادي أمام الملأ "العنوا الغار وما حوى" وهم يقصدون غار ثور الذي كان فيه

1- علي حُسني الخربوطلي، **المرجع السَّابق**، ص56-57.

2- عن مشكلة النسب الفاطمي لعبيد الله المهدي. (انظر: ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص446 وما بعدها).

3- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص461 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص164-165.

النبي محمَّد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصِّديق متخفيان في هجرتهما إلى المدينة المنورة، كما كان أتباعه يعلقون رؤوس الحمير في الحوانيت ويكتبون عليها أسماء الصحابة[1].

وعن هذه الثورة التي تزعمها الخارجي مخلد بن كيداد وساعده في ذلك السُنيون فقد كانت ثورة كبيرة قام خلالها مخلد بن كيداد بحصار المهدية عاصمة العُبيديِّين مدة أربع سنوات (332-336)هـ/(944-948م) وكاد أن يهزمهم لطول مدة الحصار وتضرر أهل المدينة بسبب الجوع، ولم يتمكن العُبيديون من القضاء على هذه الثورة إلَّا عندما انفضت القبائل الزناتية وتخلت عن نصرة مخلد بن كيداد الذي اضطر إلى فك الحصار وهذا في عهد الخليفة العُبيدي المنصور الذي خلف والده القائم المتوفي سنة 334هـ/946م أثناء الحصار، وقد لحق المنصور جيش مخلد بن كيداد عندما فضَّ الحصار وألحق به الهزيمة، وألقي القبض على زعيمهم مخلد بن كيداد وقام بقتله وبذلك تمكن العُبيديون من قمع أخطر ثورة ضدهم في بلاد المغرب. ورغم انتصار العبيديون في هذه الثورة في آخر المطاف إلَّا أنَّهم أخذوا درسًا كبيرًا حيث تأكد لهم أنَّه لا مقام لهم في بلاد المغرب لذا سعوا جاهدين للانتقال إلى بلاد المشرق الإسلامي[2].

- انتقال العُبيديون إلى مصر (المشرق الإسلامي):

جعل العُبيديون من بلاد المغرب منطلقًا لبناء دولتهم ولكن كان هدفهم الأسمى هو الانتقال إلى بلاد المشرق لمقاومة العباسيِّين والقضاء على دولتهم والاستيلاء على الحرمين الشريفين، فكانت لحكام الدَّولة العُبيديَّة العديد من المحاولات للاستيلاء على مصر وقد تكللت محاولاتهم بالنَّجاح في عهد إمامهم الرابع المعز لدين الله الذي أرسل جيشًا ضخمًا بقيادة جوهر الصقلي من المغرب إلى مصر يوم السبت 14 ربيع الأوَّل سنة 358هـ/969م، وقد تمكن هذا الجيش من الاستيلاء على مصر مستغلًا الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتردية فيها بعد موت حاكمها "كافور

1- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص188-189 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص216 ؛ عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي، **المرجع السَّابق**، ص180-181.

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص189 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص216 وما بعدها ؛ عبد الله محمَّد جمال الدِّين، **المرجع السَّابق**، ص65 وما بعدها.

الإخشيدي" سنة 355هـ/966م. وقد انتقل المعز لدين الله العُبيدي إلى مصر بعد أربع سنوات من الاستيلاء عليها أي في سنة 362هـ/973م، واتخذ من القاهرة عاصمةً لدولته، وترك في بلاد المغرب الزيريون حكامًا عليها[1]، وقد عمرت دولتهم في المشرق الإسلامي حوالي قرنين من الزمان حيث سقطت سنة 567هـ/1171م بقيادة صلاح الدِّين الأيوبي[2].

– الحياة الاجتماعية:

كان المجتمع يسوده الاضطراب والفوضى نتيجة أعمال العُبيديِّين الإجرامية، وكانت سياستهم تقوم على جشع مالي بالغ، فقد كانوا يجبون من المال مقادير طائلة كلها بالظلم والإيهام، وكانوا يحتجزون الأموال ويستخدمونها في المتاجرة أو شراء جند يقوم بغزوات تعود عليه بغنائم، ولم تكن لديهم أي نية في زيادة عمران المغرب، فلا هم شقوا طريقًا ولا أنشئوا سوقًا ولا نفعوا قبيلةً من القبائل التي خدمتهم، وقد أججوا نيران العصبيات القبلية في المغرب إلى درجة جعلت هذه القبائل تدخل بعضها مع بعض في حروب إبادة، بل هرب بعض زعماء البربر إلى الأندلس ناجين بأنفسهم من صراع القبلية في بلاد المغرب[3].

– الحياة الاقتصادية:

وبالنِّسبة للجانب الاقتصادي يمكن الحديث عن النشاط الصناعي المتمثل في الصناعة الحربية حيث تمَّ صنع السِّلاح والسفن البحرية في مدينتي بونة والمهدية، كما اهتم العُبيديون بصناعة الحديد والزجاج والنَّسيج، وقد أمر المعز بنسج ذلك البساط العجيب الذي صنع بحرير أزرق ملون مطعم بالذهب فيه صورة الأقاليم والبحار والأنهار والجبال والطرق وفيه صورة الحرمين الشريفين مكتوبة أسماؤها عليها، وفيه هذه العبارة التالية:" ممَّا أمر بعمله المعز لدين الله شوقًا إلى حرم الله وإشهارًا لمعالم

1- عبد الله محمَّد جمال الدِّين، **المرجع السَّابق**، ص93 وما بعدها ؛ حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص150-151.

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص446.

3- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص152-153.

رسول الله في سنة 353هـ/964م" وكانت النفقة عليه اثنين وعشرون ألف دينار". ونشير إلى أنَّ ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد التي دامت أربع سنوات أدت إلى تدهور الأحوال الاقتصادية في بلاد المغرب فانهارت الزراعة وتعطلت التجارة[1].

– الحياة الفكرية:

لم تكن الحياة الثقافية للعُبيديِّين في بلاد المغرب مزدهرة بالأعمال الجليلة من حيث الانجازات الحضارية والنَّشاطات الثقافية لأنَّها لم تطل إقامتها في هذه البلاد، حيث مكثت حوالي ستون سنة فقط، وكانت هذه الفترة معظمها مليئة بالحروب والفتن فلم يتفرغوا كثيرا للجانب الثقافي بسبب انعدام الاستقرار والأمن، كما أنَّ الميدان الثقافي لا يزدهر إلَّا عندما تكون الظروف السِّياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة في وضع جيد. وعلى العموم فقد طبع النَّشاط الثقافي للعُبيديِّين كثيرًا بالجانب المذهبي حيث تعصب هؤلاء لمذهبهم الشيعي وقاموا بنشره بالقوة، وحدثت مناظرات كثيرة بين علماء السنة ونظرائهم الشيعة الإسماعيلية. وكل منشآتهم العمرانية كانت تخدم بالأساس أهدافًا عسكريةً وسياسيةً ومذهبيةً مثلما هو الحال لمدن المهدية والمحمدية والمنصورية، وكان القائمون على الدَّولة يقمعون كل انجاز ثقافي يخالف تعاليم مذهبهم ويتلفونه ومن ذلك مثلًا ما قاموا به اتجاه مكتبة المعصومة في تيهرت التي لم يترك منها غير تلك الكتب ذات الطابع العلمي وكانت هذه المكتبة تحوي نحو ثلاثمائة ألف مجلد في مختلف أنواع الفنون. وقد عمل حكام هذه الدَّولة على نشر مذهبهم بواسطة الدعاة والمدارس التي نشأت في ربوع الدَّولة، وهي المدارس التي عُرفت بمدارس الدعوة، كما كان للأدب والشعر حضوةً لدى حكام الدَّولة وأمرائها حيث كانوا يقرضون الشعر ويتذوقونه خاصةً إمامهم الأوَّل عُبيد الله المهدي وقيل عن المعز بأنَّه كان يتقن عدة لغات العربية والبربرية واللاتينية والصقلية والإسبانية والسودانية، وتميز أيضًا النشاط الثقافي بكثرة الجدل والمناظرات بين علماء الشيعة

1– عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي، **المرجع السَّابق**، ص182.

ومعارضوهم من السنة، فكان ذلك أول عهد لبلاد المغرب بالفلسفة ومباحثها الممتزجة بعقائد الشيعة[1].

– العلاقات الخارجيَّة:

معلوم بالضرورة أنَّ علاقة العُبيديِّين (الفاطميِّين) بالخلافة العباسية هي علاقة عداء شديد، وهو عداء قديم يعود جذوره إلى الصراع العلوي العباسي في المشرق الإسلامي، فالعلويِّين يرمون العباسيِّين بالخيانة ويتهمونهم بسرقة الحكم منهم بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 132هـ/149م. فانتقل هذا الصراع إلى بلاد المغرب بعد أن قام العُبديون بإسقاط دولة الأغالبة حليفة العباسيِّين والاستيلاء على كامل بلاد المغرب وتطلع هؤلاء للاستيلاء على بلاد المشرق الإسلامي.

وكانت علاقتهم مع الأمويِّين في الأندلس علاقة عداء وحرب أيضًا، نتيجة الاختلاف المذهبي فالفاطميِّين شيعة روافض والأمويِّين سُنة، وكانت بلاد المغرب ميدان للصراع بين الدَّولتين حيث عملت كل دولة على استمالة القبائل البربرية إلى صفها خاصةً قبيلة زناتة في غرب بلاد المغرب. وحاول كل من الطرفين إرسال دعاته ورجاله للتَّعرف على مواطن الضعف في البلد الآخر، وعمل الفاطميِّين على فتح أبواب المهدية والقيروان أمام اللاجئين الأندلسيِّين، وتشجيع الثوار في الأندلس ومساندتهم فأيدوا الثائر الأندلسي عمرو بن حفصون إذ أمده الخليفة عُبيد الله المهدي بالهدايا والذخيرة والأسلحة[2].

وفيما يخص علاقتهم مع الدُّول الأوروبية، فقد تغيرت الأحوال، فبعدما كانت علاقة الأغالبة بالدُّول الأوروبية مبنية على التوثب والهجوم، تحول الأمر مع العُبيديِّين إلى الدِّفاع والتَّسليم، فقد

1- سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين**، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ج3، ص135 وما بعدها ؛ يوسف بن أحمد حوالة: **الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتَّى منتصف القرن الخامس الهجري (90-450هـ)**، جامعة أم القرى، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النَّشر، مكة المكرمة، 2000م، ط1، ج1، ص171 وما بعدها.

2- سامية مصطفى مسعد: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأمويَّة (300-399هـ/912-1008م)**، **عين للدِّراسات والبحوث الانسانيَّة والاجتماعية**، 2000م، ط1، ص79 وما بعدها.

اضطربت الأحوال السِّياسيَّة في جزيرة صقلية خلال الحكم العُبيدي ما جعل النورمان يغيرون عليها وتمكنوا من الاستيلاء عليها سنة 484هـ/1091م[1].

عنوان المحاضرة: الدَّولة الأمويَّة في الأندلس

– تأسيس الدَّولة:

في سنة 132هـ/749م تمكن العباسيون من إسقاط الخلافة الأمويَّة بدمشق في معركة الزاب الشهيرة، حيث قضوا على آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمَّد، وحاول العباسيون متابعة أفراد البيت الأموي الحاكم في كل مكان والقضاء عليهم نهائيًا، لكن واحد منهم وهو عبد الرَّحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية والذي يدعى عبد الرَّحمان الداخل كما يلقب بصقر قريش تمكن من النجاة بنفسه والوصول إلى مصر ثمَّ بلاد المغرب التي أقام بها مدةً من الزمن ثمَّ انتقل إلى بلاد الأندلس فاستغل أوضاعها السِّياسيَّة المضطربة وقضى على والي العباسيِّين عام 138هـ/756م فبويع أميرًا جديدًا للأندلس في مدينة قرطبة التي اتخذها عاصمةً لدولته وهو ابن خمس وعشرين سنة[2].

وقد اتبعت الدَّولة الأموية في الأندلس منذ قيامها سنة 138هـ/756م إلى غاية سقوطها سنة 422هـ/1031م النظام الوراثي، حيث كان الحكم في نسل عبد الرَّحمان الداخل، وقد برز منهم سلاطين أقوياء أشهرهم على الإطلاق عبد الرَّحمان الداخل (138-171هـ)/(756-787م) عبد الرَّحمان الأوسط (206-238هـ)/(821-852م) وعبد الرَّحمان الناصر (300-

---

1- عبد العزيز الثعالبي، **المرجع السَّابق**، ص335.

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج5، ص122 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج2، ص40 وما بعدها ؛ عبد اللَّطيف عبد الهادي: **الأندلس الإسلاميَّة سياسيًا وحضاريًا**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2011م، ص77 وما بعدها ؛ عبد القادر قلَّاتي: **الدَّولة الإسلاميَّة في الأندلس من الميلاد إلى السُّقوط**، دار وحي القلم، دمشق، 2010م، ط1، ص22 وما بعدها.

350هـ)/(912-962م) وقد تلقب هذا الأخير بلقب أمير المؤمنين سنة 316/928م أي أعلن نفسه خليفة واتخذ لقب الناصر لدين الله، كما عُرف عبد الرَّحمان الناصر باسم عبد الرَّحمان الثالث، وكان الأمويِّين قبله لم يتخذوا لقب خليفة أو أمير المؤمنين مثلما هو معهود لدى العباسيِّين في بغداد[1].

وحكم الأندلس بعد عبد الرَّحمان الناصر ولده الحكم الملقب بالمستنصر (350-366هـ)/(962-977م) ثم ولد المستنصر، الطفل هشام بن الحكم حيث تولى عرش الأندلس تحت وصاية أمه سنة 366هـ/977م وهو ابن الحادي عشر سنة وثمانية أشهر، وقد تعاونت أمه مع المنصور محمَّد ابن أبي عامر الذي شغل منصب الوزارة ثمَّ الحجابة في قتل عم ولدها هشام ورئيس وزرائه فاستتب الأمر لها، وللمنصور بن أبي عامر الذي أصبح الوريث الشرعي للدَّولة الأمويَّة حيث استغل صغر سن هشام بن الحكم واستأثر بالحكم، وبذلك يبدأ عهد الدَّولة العامريَّة في الأندلس بقيادة المنصور بن أبي عامر الذي لقب نفسه بالملك الكريم المنصور، وأصبحت للدَّولة الأموية في عهده قوية جدًا واستعادت هيبتها ومكانتها من جديد، وقد تولى أمر الحجابة بعدة ولديه عبد الملك ثمَّ عبد الرَّحمان الذي طلب من هشام بن الحكم أن يجعله وليًا لعهده فأجابه الخليفة هشام لضعفه فكان ذلك سببًا في خروج أكابر الدَّولة عليه وقاموا بخلعه ومبايعة محمَّد بن هشام الملقب بالمهدي خليفة عليهم وكانت الدَّولة في عهده في حالة ضعف شديد وفوضى، فتمت تصفيته سنة 400هـ/1010م ومبايعة هشام بن الحكم مرة أخرى واستمر الضعف والاضطراب في البيت الأموي إلى غاية سقوطها نهائيًا سنة 422هـ/1031م[2].

وتُقسم فترة حكم الأمويِّين في الأندلس إلى ثلاثة مراحل رئيسية: فالأولى هي مرحلة الإمارة من (138-316هـ)/(756-928م) والثانية هي مرحلة الخلافة (316-366هـ)/(928-

---

1- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج2، ص198-199 ؛ عنان محمَّد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأوَّل- القسم الثَّاني- الخلافة الأمويَّة والدَّولة العامريَّة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ط4، ص373 وما بعدها ؛ عبد اللَّطيف عبد الهادي، **المرجع السَّابق**، ص168 وما بعدها.

2- محمَّد عبد الله عنان، **الخلافة الأمويَّة والدَّولة العامريَّة**، ص482 وما بعدها.

977م) أما الثالثة فهي مرحلة الدَّولة العامريَّة (366-422هـ)/(977-1031م) ويعتبر عهد الأمويِّين في الأندلس الذي استمر حوالي ثلاثة قرون أزهى فترات حكم المسلمين في هذه البلاد حيث عرفت هذه الدَّولة تطورًا كبيرًا في جميع الجوانب السَّياسيَّة، الاجتماعية، الاقتصاديَّة، الفكريَّة، الدينيَّة والعسكريَّة. ففيما يخص الجانب السِّياسي والإداري فقد كان منظمًا بإتقان حيث ظهر منصب الخليفة، الحاجب، الوزير ذي الوزارتين، صاحب الشرطة، صاحب المدينة، صاحب المظالم، المحتسب والقاضي (القاضي الشرعي والمدني) كما اهتم الأمويون بالجانب العسكري وأعدوا الجيوش وجهزوا الأساطيل من أجل حماية حدود دولتهم.

- الحياة الاجتماعية:

تركيبة المجتمع الأندلسي كانت عبارة عن خليط من الأجناس البشرية يتقدم هذه الأجناس البربر الذين فتحوا الأندلس وعمروها على إثر قرب بلادهم المغرب من الأندلس، ويتكون هؤلاء من البتر والبرانس وقد سكن أغلبهم في الهضاب الوسطى والقسم الجنوبي من الشواطئ الغربية للأندلس لأنَّ المناخ وطبيعة الأرض تشبه بلادهم في المغرب، العنصر الثاني هم العرب القيسيِّين واليمنيِّين الذين سكنوا المنطقة الضيقة من الشواطئ الشرقية والجنوبية للأندلس ثمَّ في سهل قرطبة لأنَّ هذه الأماكن تشبه بلادهم في المشرق، وإلى جانب هؤلاء يتواجد المولودين الذين اعتنقوا الإسلام وهم مزيج أجناس مختلفة من اليونان والقوط والفرنجة والجلالقة، بالإضافة إلى هؤلاء يوجد اليهود الذين حافظوا على يهوديتهم وكذلك النصارى وأكثرهم من الكاثوليك، وقد تمكنت السلطة المركزية من دمج هذه العناصر فيما بينها باللِّين تارةً وباستعمال القوة عند الضرورة لكي تقمع أي تمرد أو عصيان. وقد أثَّر المسلمون في أخلاق غيرهم فعلموهم التَّسامح الدِّيني حتَّى أنَّهم كانوا يسمحون للأساقفة بعقد المؤتمرات الدِّينيَّة كمؤتمر إشبيلية النَّصراني سنة 166هـ/782م ومؤتمر قرطبة سنة 238هـ/852م، كما

أنَّهم تركوا لهم حرية بناء الكنائس والتجارة وتقلد بعض الوظائف الهامة، ورأى هؤلاء الفرق الشاسع بين المدنية التي يحملها المسلمون وما كان للقوط من الثقافة المتأخرة[1].

– الحياة الاقتصادية:

كانت مزدهرة ازدهارًا كبيرًا، ففي الميدان الزراعي عرفت الأندلس بالحدائق الغناء في قرطبة غرناطة والزهراء وغيرها، واستغل الأندلسيون الأراضي الزراعة استغلالًا مميزًا بإصلاحها وتنقيتها خاصةً في المناطق الجنوبية الخصبة، وأدخلوا إلى بلادهم زراعة قصب السكر، الأرز، القطن، الموز والتوت، وقد أخذت أوروبا منهم أساليب الزراعة وحفر الترع والخلجان ونظام الري. وقد تعرضت الأندلس إلى بعض الأزمات الاقتصادية الشديدة فكان هناك جفاف في الموارد الزراعية، وأشد هذه الأزمات تلك التي وقعت في السنوات الأخيرة لحكم الأمير محمَّد الأوَّل حوالي سنة 270هـ/883م وامتدت حتَّى عهد عبد الرَّحمان الناصر أوائل القرن الرابع هجري وكادت تقضي على عدد كبير من الفقراء. وبالنِّسبة للصناعة فقد اشتهرت الأندلس بصناعة السجاد، الأثاث، النقود، الحلي والسكر وازدهرت صناعة الجلود والزجاج المزوق وفن التكفيت على الفولاذ وصناعة الحديد والنحاس، وقد صارت الحرف ومنتجات الصناعة في عهد عبد الرَّحمان الناصر والمنصور بن أبي عامر، أتقن وأحسن ما في أوروبا. وساعدت كثرة الغابات المنتشرة في بلاد الأندلس على وجود صناعة الأخشاب وصناعة النجارة، وقد احترف سكان بعض المناطق الجنوبية هذه الصناعة، واهتم الأمويون أيضًا بصناعة السفن والمراكب حيث اتخذ عبد الرَّحمان الداخل سنة 144هـ/762م دور الصناعة في اشبيلية والمرية

1- محمَّد سعيد الدغلي: **الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي**، منشورات دار أسامة، 1984م، ط1، ص15 وما بعدها ؛ عبد القادر قلَّاتي، **المرجع السَّابق**، ص95 ؛ صفي الجين محي الدِّين: **الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدَّولة الأمويَّة (138-422هـ/755-1031م)**، مذكرة مقدمة لنيل شاهدة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة وهران 1- أحمد بن بلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2015-2016م، ص37 وما بعدها ؛ منى حسن محمود، **المرجع السَّابق**، ص207.

وقرطجنة، وكان كثير من سكان المناطق التي تقوم بتربية الماشية يشتغلون في صناعة الصوف مثل اشبيلية وجيان وشلطيش، أما المنسوجات الحريرية فقد اشتهرت بها مدينة قرطبة[2].

وفيما يخص التجارة فقد أوثق الأمويون في الأندلس من صلاتهم التِّجارية بالأمم الأخرى نتيجة تطور أساطيلها البحرية، فكانوا يصدرون منتجات المناجم والأسلحة والنَّسيج والجلود والسكر إلى أوروبا وبلاد المشرق، وقد صدروا إلى المغرب الأقصى عن طريق موانئ البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي الزئبق، الحديد، الرصاص، والصوف، وجلب المغرب الأقصى الأنسجة من بلنسية، والحرير من مدينة ألبيرة، والزيت والقطن من اشبيلية، واستوردت سجلماسة الثياب والمطرزات القطنية والحريرية والكتانية من قرطبة، وفي المقابل جلب الأمويون من ميناء مدينة سلا أنواع من الماشية كالغنم والماعز والأبقار، ومن سجلماسة جلبوا القمح والسكر والتمور، ومن السوس الأقصى قصب السكر والتمر، ومن درعة بذور الحناء، واستوردوا من بلاد السودان الغربي عن طريق موانئ المغرب الأقصى الذهب والصمغ وأنواع الحيوانات كالطواويس والببغاء وغيرها[3].

– الحياة الفكرية:

استطاع المسلمون في الأندلس خلال العهد الأموي أن يعمروا خراب المدن ويقيموا أفخم المباني في قرطبة وغرناطة وإشبيلية وغيرها من المدن، قد أنشئوا جامع قرطبة الشهير، وقصور غرناطة الفخمة ومنارات إشبيلية وغيرها. كما تفرغ أهل الأندلس لدراسة العلوم والآداب وترجمة كتب الإغريق، وإنشاء الجامعات التي ظلت ملجأ الثقافة في أوروبا زمنًا طويلًا، وكانت بلادهم أشبه بمجامع علمية لكثرة ما استجلبوا من العلماء من مختلف الأفاق، وقد أكثروا من إنشاء المدارس والمكتبات واجتمع في مكتبة المستنصر بن الناصر حوالي أربعمائة ألف مجلد جعلوها في قاعات خاصة في قصر قرطبة وأقاموا عليها خازنًا ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدا. كما درس الأندلسيِّين مختلف

2- منى حسن محمود، **المرجع السَّابق**، ص206 وما بعدها.

3- بان علي محمَّد البياتي: **النَّشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (3-5هـ/9-11م)**، رسالة ماجستير آداب في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ، 2004م، ص82 وما بعدها.

العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية والكيميائية والطبية بنجاح، بالإضافة إلى علوم الشريعة الإسلامية التي ازدهرت كثيرًا فظهر علماء كثيرون على مذهب الإمام مالك الذي يعد المذهب الرسمي للدَّولة الأموية بالأندلس منهم يحي بن يحي الليثي وأبو بكر الطُرطوشي وغيرهم. كما اهتموا بالفنون والأداب وبرعوا في الشعر والموسيقى والغناء فكان من أدبائهم ابن زيدون وابن عبد ربه وعباس بن فرناس وزرياب وغيرهم[4].

– العلاقات الخارجيَّة:

سبق وأن تناولنا علاقة الأمويِّين في الأندلس بدول المغرب خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين والتي تتمثل في الدَّولة المدرارية، الرستمية، الإدريسية والأغلبية، وتحدثنا عن علاقتها بالدَّولة العُبيدية (الفاطمية) وذكرنا مرارًا أنَّ علاقتها مع الخلافة العباسية بأنَّها علاقة حرب وعداء شديد.

وفيما يخص علاقة الأمويِّين بالممالك النَّصرانية في شمال الأندلس وكذلك الدول الأوروبية فقد تراوحت بين السِّلم والعداء، ولكن يغلب عليها طابع العداء وقد وقعت بينهما حروب عديدة، ولكن لم تمنع هذه الحروب على وجود علاقات ودية فقد حرس الأمويون على عدم الاعتداء عمومًا والاستعداد لعروض الصداقة وقد وردت أحيانًا من الممالك النَّصرانيَّة سفارات ودية محملة بالهدايا وبادلهم الأمويون بدورهم الهدايا، وتوسطت بعض الدول الأوروبية كألمانيا لدى الأمويون في حل بعض المشاكل كتلك السفارة الألمانية التي أرسلها أوتو الأوَّل (Otto I) إلى عبد الرَّحمان الناصر لكبح جماح الأندلسيِّين في دولة جبل القِلال (فراكسنيتوم) جنوبي فرنسا، وفي سنة 365هـ/975م قدمت إلى قرطبة سفارة ترأستها أم لذريق بن بلاكش (Rodrigo Velazquez) أحد حكام غرب جلِّيقية فأكرمها الخليفة الحكم المستنصر غاية الإكرام حيث خرج لتلقِّيها واحتفل لقدومها في يوم مشهود،

4- عبد اللَّطيف عبد الهادي، **المرجع السَّابق**، ص273 وما بعدها ؛ ريما محمود درنيقة: **الوجيز في التَّاريخ السِّياسي والحضاري للأندلس**، المؤسَّسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2013م، ط1، ص77 وما بعدها.

فوصلها وأسعفها وعقد السِّلم لابنها كما رغبت وأحبت، ودفع لها مالًا تقسِّمه بين وفدها، وحُملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب والفضة ومِلْحَفة ديباج[5].

عنوان المحاضرة: دويلات الطَّوائف في الأندلس

ظهرت دويلات الطوائف بالأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م[6] حيث أستقل كل أمير أو وزير أو قاض بمدينة من المدن وأعلن نفسه حاكمًا عليها، والتفت هذه الدويلات إلى محاولة التَّوسع على حساب أراضي وممتلكات المدينة المجاورة مستعينةً بالنصارى الصَّليبيِّين، فولَّد كل هذا صراعًا وعداءً انتهى في كثير من الأحيان إلى معارك وحروب، ويعد هذا العهد من تاريخ الأندلس أكثر الفترات تعقيدًا وتشابكًا واضطرابًا[7].

وتلقَّب هؤلاء الأمراء المتغلبون بألقاب الخلافة كالمتوكِّل والمعتضد والمعتمد والمستعين وغيرها[8] فجلب لهم ذلك هجاء الشعراء حيث وصفهم ابن رشيق القيرواني ساخرا منهم بقوله:

ممَّا يُزْهِّدُنِي في أَرْضِ أَنْدَلُسِ سَمَاعُ مُقْتَدِرٍ فيها ومُعْتَضِدِ
أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ في غَيْرِ مَوْضِعِهَا كالهِرِّ يَحكِي انتفَاخًا صَوْلَةَ الأَسَدِ[9]

5- عبد الرَّحمان علي الحجي: **التَّاريخ الأندلسي من الفتح حتَّى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)**، دار القلم، بيروت، 1981م، ط2، ص318 وما بعدها.

6- ابن الوردي: **تاريخ ابن الوردي** – أو- **تتمة المختصر في أخبار البشر**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1996م، ط1، ج1، ص319 ؛ علي حبيبة: **مع المسلمين في الأندلس**، مكتبة الشباب، مطابع سجل العرب، مصر، 1972م، ص229.

7- محمَّد سهيل طقوش: **تاريخ المسلمين في الأندلس 91-898هـ/710-1492م**، دار النفائس، بيروت، 2008م، ص427.

8- وصف ابن جُبير في رحلته سلاطين مدينة دنيصر القريبة من مدينة الموصل بالعراق بأوصاف مذمومة وشبههم بأمراء الطَّوائف بالأندلس حيث قال: كلهم قد تَحَلَّى بحليةٍ تُنسب إلى الدِّين، فلا تسمع إلَّا ألقابًا هائلة، وصِفات لِذي التَّحصيل غير طائلة، قد تساوى فيها السوقة والملوك، واشترك فيها الغني والصعلوك، ليس فيهم من اتَّسم بسمة به تليق، أو اتَّصف بصفة هو بها خليق). (انظر: ابن جُبير: **رحلة ابن جُبير**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص216).

وقد بلغ عدد دويلات الطوائف حوالي ثلاثة وعشرون دويلة، تتفاوت فيما بينها من حيث القوَّة والضُّعف برزت منها سبع دول رئيسية غلبت على جميع الدُّويلات الأخرى أو تحالفت معها، وتتمثل هذه الدويلات في دولة بني ذي النون بطليطلة، دولة بني جهور بقرطبة، دولة بني عباد بإشبيلية، دولة بني هود بسرقسطة، دولة بني الأفطس ببطليوس دولة بني زيري بغرناطة دولة بني عامر ببلنسية وغيرها من الدُّول[10].

والملفت للنظر في تاريخ الأندلس في تلك الفترة أنَّ الأندلس الإسلامية كانت في حالة تمزق وصراع بينما كانت الممالك النَّصرانيَّة في شمال الأندلس في حالة وحدة وقوة بزعامة ملكهم القشتالي ألفونسو السَّادس الذي راح يهدد دويلات الطوائف بالسقوط والفناء، وشن عليهم حروبًا طاحنة عُرفت بحروب الاسترداد أو الحروب الصَّليبيَّة، وقد تكللت مساعيه بالنَّجاح عندما احتل مدينة طليطلة يوم 27 محرم سنة 478هـ/25 ماي 1085م[11]، وبذلك سقطت إحدى حواضر بلاد الأندلس الكبرى وقلاعها الحصينة، واسترجع النَّصارى عاصمة القوط القديمة بعد أن حكمها المسلمون حوالي أربعة قرون[12].

وكان سقوطها نذيرًا بوقوع كامل بلاد الأندلس في أيدي النَّصارى، حيث اشتدَّ الخطر على المسلمين أكثر من ذي قبل بتعاظم حركة الاسترداد، وتحمس القوى النَّصرانيَّة بقيادة ألفونسو السَّادس

9- المرَّاكشي، **المُعجب**، ص53 ؛ ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزَّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق لجنة من كتابة الدَّولة للشؤون الثقافيَّة والأخبار، الدار التونسيَّة، تونس، 1976م، ج1، ص69-70 ؛ شكيب أرسلان: **الحُلل السُّندسيَّة في الأخبار والآثار الأندلسيَّة**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج1، ص248 .

10- ابن بلكين، **مذكرات الأمير عبد الله** – أو – **كتاب التِّبيان**، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1988م، ص16 وما بعدها ؛ المرَّاكشي، **المُعجب**، ص44 وما بعدها.

11- ابن الأبَّار، **التَّكملة لكتاب الصِّلة**، تحقيق الفريد بل، وابن أبي شنب، المطبعة الشرقيَّة، الجزائر، 1919م، ص29 ؛ المقري: **نفحُ الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م، مج4، ص352 ؛ ج.س.كولان: **الأندلس**، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلاميَّة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1980م، ط1، ص132.

12- Jean Brignon et autres : **Histoire du Maroc**, librairie Nationale, Casablanca, 1967, p90.

لطرد المسلمين نهائيًا من بلاد الأندلس، كما كان لسقوطها وقعٌ كبيرٌ في جميع أنحاء العالم الإسلامي وأدرك المسلمون أنَّ إخوانهم في الأندلس يعيشون مأساة حقيقية، وقد اجتهد الشُّعراء في وصف هذه المأساة، منهم الشَّاعر الأندلسيّ عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال بقوله:

يا أهلَ أندلس حُثُّوا مَطيَّكمُ فما المقامُ بها إلَّا من الغلطِ

الثوبُ يُنسلُ من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولًا من الوسطِ

ونحن بينَ عدوٍّ لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيَّاتِ في سفطِ[13]

ويعتبر سقوط طليطلة من بين الأسباب التي عجلت بتدخل المرابطين لنجدة إخوانهم في بلاد الأندلس الذين استصرخوهم، ورأوا فيهم السَّبيل إلى النَّجاة[14].

وقد لبى المرابطون دعوة أهل الأندلس وعبر أميرهم يوسف بن تاشفين من المغرب إلى الأندلس لأول مرة سنة 479هـ/1086م، وقاد الجيوش المرابطية والأندلسية معًا وألحق هزيمة نكراء بألفونسو السادس ملك قشتالة في معركة الزَّلاقة الشهيرة التي حدثت يوم الجمعة 12 رجب سنة 479هـ/23 أكتوبر 1086م[15]، وقد عمَّت الأفراح أرجاء العالم الإسلامي وأعتقت الرقاب ووزعت الصدقات وشُبه يوم الزَّلاقة بيوم اليرموك والقادسية وارتفع شأن المرابطين وأميرهم يوسف بن تاشفين، وأثنى عليه

13- ابن خلكان: **وَفياتُ الأعيانِ وأنباءُ أبناءِ الزمانِ**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، 1994م، مج7، ص28 ؛ المقرّي، **نفح الطِّيب**، مج4، ص352.

14- E .Lévi – Provençal**: Islam D'occident**, librairie Orientale et Américaine, Paris, 1948, p111.

15- ابن الأبَّار، **التَّكملة لكتاب الصِّلة**، ص29 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقَّق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1394هـ/ 1974م، ط2، ج4 ، ص351. (في حين يرى ابن الأثير أنَّ المعركة حدثت يوم الجمعة العاشر من رمضان سنة 479هـ/17 ديسمبر 1086م). (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، دار صادر، بيروت، 1966م، مج10، ص154).

العلماء والفقهاء ثناءً كبيرًا خاصة الإمام أبو حامد الغزالي الذي سُرَّ بهذا النَّصر واعتبر الأمير يوسف المسلم المثالي الذي سيعيد للإسلام سابق عزه وينقذه ممَّا تردى فيه[16].

وقبل عودة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين إلى بلاد المغرب نصح أمراء الطوائف بعدم النزاع والفرقة فيما بينهم، ولكن هؤلاء الأمراء عادوا إلى سيرتهم الأولى من النزاع والاستعانة بالصَّليبيِّين على بعضهم البعض، فانتهز ألفونسو السَّادس الفرصة من جديد وهدَّد مدن شرق الأندلس بالسقوط إنطلاقا من حصن لييط[17] الذي كانوا يشنون منه هجماتهم على بلاد المسلمين ويتحصنون به، وعندما لم يستطع أمراء الطوائف رد عدوان ألفونسو السَّادس استنجدوا للمرة الثانية بأمير المرابطين يوسف بن تاشفين فعبر للمرة الثانية سنة 481هـ/1088م وقاد جيوش المسلمين في معركة عُرفت بمعركة حصن لييط وتمكن من استرجاعه وطرد النَّصارى منه[18].

عاد الأمير يوسف بن تاشفين مجددًا إلى بلاد المغرب، ورجع هؤلاء الأمراء مجددًا إلى صراعاتهم والتعاون مع النَّصارى ضدَّ بعضهم البعض، فأفتى فقهاء الأندلس وعلماءها وكذلك علماء المغرب والمشرق الإسلاميين أمثال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي وكبير فقهاء المذهب المالكي أبو بكر الطُرطوشي بشرعية خلع أمراء الطوائف من قبل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لأنَّ خيانتهم

16- حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص284.

17- حصن لييط (Aledo) هو حصن منيع على رأس جبل شاهق بناه ألفونسو السَّادس إثر استيلائه على مدينة طليطلة سنة 478هـ/1085م، يقع بين مدينتي مرسيَّة ولورقة وهو أقرب إلى هذه الأخيرة بينه وبينها مسيرة نصف يوم، وهو يتوسط بلاد المسلمين في شرق الأندلس ممَّا سهَّل على سراياه أن تشن غاراتها على الأراضي الإسلاميَّة في تلك الأنحاء. (انظر: **الحُلل الموشيَّة في ذكر الأخبار المُرَّاكشيَّة**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرَّشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م، ط1، ص67 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج4، ص352 ؛ دوزي رينهرت: **المسلمون في الأندلس**، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، مصر، 1995م، ج3، ص137-138 ؛ محمَّد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثَّاني، دول الطَّوائف منذ قيامها حتَّى الفتح المرابطي**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص334 وما بعدها).

18- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص152-153 ؛ السَّلاويّ، **الإستقصا**، ج2، ص46 وما بعدها.

كانت واضحة للعيان[19]، فعبر الأمير يوسف للمرة الثالثة إلى الأندلس وقضى على جميع دويلات الطوائف سنة 483هـ/1090م وألحق الأندلس بدولة المرابطين ما عدا إمارة بني هود بسرقسطة التي أعلنت الهدنة والسَّلم مع المرابطين وبذلك تنتهي فترة دويلات الطوائف بالأندلس[20].

عنوان المحاضرة: الدَّولة الزيريَّة في المغرب الإسلامي

– نشأة الدَّولة:

ينتسب الزيريون إلى قبيلة صنهاجة البربرية وزعيمها الأكبر هو زيري بن مناد الصَّنهاجي الذي قيل بأنَّه ساعد العُبيديون (الفاطميون) في القضاء على ثورة صاحب الحمار فأكرمه المنصور بالله بن القائم العُبيدي وعيَّنه أميرًا على قومه تقديرًا لجهوده وخدماته وولاه أمر تيهرت وباغاية فأمنت دولة العُبيديِّين يومئذٍ من أخطار سكان هذه النواحي من بني يفرن الزناتيِّين. وبعد حوالي ستة وعشرين سنة من الحكم قُتل زيري بن مناد في رمضان 360هـ/جويلية 971م في حربه ضدَّ قبائل زناتة الموالية للأمويِّين في الأندلس، عَين المعز بن المنصور العُبيدي "بلكين بن زيري" واليًا على أشير والمسيلة وتيهرت فأحسن الولاية فيها، واتخذ من أشير التي بناها والده سنة 324هـ/936م عاصمةً لولايته واستطاع أن يحمي ظهر العُبيديِّين من الجهة الغربية لبلاد المغرب حيث تصدى للقبائل الزناتية التي كانت تتربص بالعبديِّين[21].

19- حامد محمَّد خليفة، **يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصَّليبيِّين 400-500هـ= 10091106م**، دار القلم، دمشق، 2003م، ط1، ص305.

20- **الحُلل الموشيَّة**، ص74-75 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج4، ص42 ؛ أشباخ يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ترجمة وتعليق محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ط2، ج1، ص109.

21- الهادي روجي إدريس: **الدَّولة الصَّنهاجيَّة تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، نقله إلى العربيَّة حمَّادي السَّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ط1، ج1، ص31 وما بعدها ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص145.

وعندما عزم المعز بن المنصور العُبيدي الانتقال إلى مصر عام 362هـ/973م جعل بلكين بن زيري أميرًا على بلاد المغرب كلها ما عدا صقلية وطرابلس وقبيلة كتامة، وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح ولقبه بسيف الدَّولة، وكان ذلك بداية فعلية لظهور الدَّولة الزيريَّة الصَّنهاجية ببلاد المغرب[22].

وقد اتبعت هذه الدَّولة النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل زيري بن مناد، وقد حكمها حوالي تسعة أمراء، جعلوا من المهدية بتونس عاصمة لهم، وكان المذهب المتبع في بداية الدَّولة الزيرية هو المذهب الشيعي الرافضي على اعتبار أنَّهم كانوا تابعين للعُبيديِّين في مصر، وهو المذهب الرسمي للدَّولة في حين أنَّ الكثير من أهل المغرب كانوا على مذهب السنة وكانوا يعارضون المذهب الشيعي، وقد حدث في عهد المعز باديس تحول جذري بالنِّسبة للجانب المذهبي حيث تخلى عن المذهب الشيعي وتحول إلى المذهب السني المالكي وبذلك تحول جميع سكان الدَّولة إلى المذهب السني وهذا في حدود عام 440هـ/1048م، كما قطع المعز الدَّعوة للعبيديِّين في القاهرة وحولها إلى العباسيِّين في بغداد[23]، وعندما لم يستطع العُبيديون الانتقام منه عسكريًا أرسلوا في حدود سنة 442هـ/1050م أعراب بني هلال وبني سليم وغيرهما إلى بلاد المغرب للقضاء على الزيريِّين والحماديِّين معًا[24]، فساد الاضطراب والفوضى في المغرب فسهل على النورمان الاستيلاء على المهدية عاصمة الزيريِّين عام 543هـ/1148م وكانت بذلك الضربة القاضية والنهاية الحتمية لهذه الدَّولة ونشير إلى أنَّ الموحِّدين استولوا فيما بعد على عاصمة الزيريِّين المهدية سنة 555هـ/1160م وقضوا على النورمان واستولوا على كافة بلاد المغرب الإسلامي[25].

– الحياة الاجتماعية:

يغلب على تركيبة السكان العنصر المحلي البربر الذي يمثل الأغلبية ثمَّ تليه باقي العناصر السكانية عرب وفرس وأفارقة وغيرهم، وكان الصنهاجيون يمثلون الطبقة الأرستقراطية الحاكمة ثمَّ تأتي

22- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص228 .

23- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج8، ص295 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص273-274.

24- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج8، ص295 وما بعدها.

25- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص146 .

باقي طبقات المجتمع مثل كبار الموظفين الذي كان بعضهم من أصل عربي ويليهم أصحاب الأملاك والتجار ثمَّ الطبقة الفقيرة والتي تسكن في الغالب في البادية، وكان أهل البادية يقيمون في مساكن بدائية أما أهل المدن فأغلب منازلهم في أغلب الأحيان على طابق واحد وكانت مادة البناء هي الطوب، وفيما يخص اللباس كانت الجبة تمثل اللباس العادي لكافة سكان المدن في حين كان أهل البادية يرتدون الكساء وهو عبارة عن قطعة قماش يسدلون طرفها على كتفهم الأيسر، ولبست النسوة قلائد من الأحجار الكريمة واللؤلؤ والرِّجال لبسوا العمامة وكانوا يطلقون شواربهم وكان حلق لحية الأسير يعتبر إهانة له وينذر بقرب إعدامه، وكان الرِّجال والنِّساء يخصبون بالحناء. ومن بين الأطعمة الرائجة في عهد الزيريِّين الخبز المعجون والعصيدة التي تطبخ بالحنطة والزبدة والعسل وهي من بين الأطعمة الرئيسية ولم يكن اللحم الغذاء الأساسي لهم[26].

– الحياة الاقتصادية:

اهتم الزيريون بجباية الضرائب والخراج وبالتالي كان الاهتمام بالأحوال الاقتصادية التي ازدهرت كثيرًا خاصةً الزراعة، فأنتجت مدن المغرب الأدنى القمح والزيتون بكثرة خاصةً مدينة باجة، وتمثل الإنتاج الزراعي عمومًا على الحبوب منها القمح، الشعير، الذرة، الحمص، الفول وكذلك أشجار التين، الرمان والليمون، وبالنِّسبة للماشية فقد اشتهروا بتربية الخرفان، الخيول، الإبل. أمَّا الصناعة فعرفوا بصناعة النَّسيج والغزل، صباغة الجلود، صناعة الورق، الخزف والزجاج، كما اهتموا بالصناعات المنجمية والمعدنية وغيرها، أمَّا التجارة فقد ازدهرت المبادلات التجارية البحرية منها والبرية مع مصر ودول المغرب وكذلك الأندلس والدول الأوروبية وتمثلت صادرات الزيريون في العنبر، الحرير، الأكسية،

26- الهادي روجي إدريس، **المرجع السَّابق**، ج2، ص185 وما بعدها.

الزيت، الزعفران، اللوز، الحديد، الرصاص وغيرها، أمَّا الواردات فتمثلت في القمح، الخشب، التوابل وبعض المعادن[27].

– الحياة الفكرية:

ازدهر العصر الزيري في الجانب الثقافي خاصةً في عهد المعز بن باديس الذي ساهم في تطوير العلوم والآداب والعمران، وقد أحاط المعز به العلماء والشعراء والأدباء وقصدوا بلاطه من كل حدب وصوب، وكانت إفريقية في العهد الزيري في اتصال فكري مع صقلية وبلاد الأندلس ومدن وحواضر المغرب الإسلامي. وقد أنشأ الزيريون مدارس عديدة تُعلم فيها الصبيان القراءة والكتابة وتلاوة القرآن، وكانوا يكتبون الآيات القرآنية على الألواح، وقد ظهر العديد من الأدباء والشعراء في العهد الزيري نذكر منهم الشاعر المؤرخ أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالرقيق وأبو بكر عتيق المجدولي وغيرهم. وفي الجانب العمراني بنا الزيريون الكثير من المدن والحواضر وأنشئوا بها القصور، المنازل، الحمامات، المساجد والأسواق ومن بين مدنهم أشير، المسيلة، بونة، تنس، المهدية، المنصورية، والقيروان وغيرها، وكانت قصورهم تحوي الحدائق والبساتين والأحواض والبرك، وكانت في غاية الإتقان حيث برع الزيريون في فن الزخرفة والنقش على الحجارة والرخام[28].

– العلاقات الخارجية:

كانت علاقة الزيريِّين مع العُبيديِّين في البداية علاقة ولاء شديد لأنَّ الدَّولة الزيرية في المغرب كانت تابعة للخلافة العُبيدية (الفاطمية) في مصر، وتغيرت العلاقات بينهما بصفة جذرية لما تولى السلطة المعز بن باديس الزيري فغير ولاءه للعباسيِّين في بغداد وتخلى عن ولاءه للعُبيديِّين في مصر، وغير مذهب دولته الرسمي من المذهب الشيعي إلى السني، فحدثت بذلك القطيعة واستفحل العداء

27- سعد زغلول عبد الحميد، **المرجع السَّابق**، ج3، ص410 وما بعدها ؛ الهادي روجي إدريس، **المرجع السَّابق**، ج2، ص215 وما بعدها ؛ حسن خضيري أحمد: **علاقات الفاطميِّين في مصر بدول المغرب (362-567هـ/973-1171م)**، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ط1، ص105 وما بعدها.

28- الهادي روجي إدريس، **المرجع السَّابق**، ج2، ص385 وما بعدها.

بين الزيريون والعبيديون الذين عمدوا للانتقام بشتى الطرق منها إرسال أعراب بني هلال وسُليم لاجتياح دولتهم في المغرب[29].

وفيما يخص علاقة الزيريِّين بأبناء عمومتهم الحمَّاديِّين فقد تراوحت بين السِّلم والحرب، ففي البداية كانت العلاقات جيدة وأخوية على اعتبار أنَّ الزيريِّين جعلوا الحمَّاديِّين ولاة على مدينة أشير تابعين لهم، ولكن عندما أسَّس حمَّاد بن بلكين قلعة بني حمَّاد سنة 398هـ/1008م وأعلن قيام دولة خاصة به حدثت حروب بينه وبين أبناء عمومته، وفي سنة 408هـ/1017م حدث الصلح بين حمَّاد والمعز بن باديس فعادت علاقة الود والأخوة بين الدَّولتين، وعلى العموم فقد بقيت علاقة السِّلم والموادعة بينهما ولكن الدَّولتين فشلتا في تشكيل جبهة واحدة في محاربة القبائل العربية[30].

عنوان المحاضرة: الدَّولة الحمَّاديَّة في المغرب الأوسط

– قيام الدَّولة:

ظهرت الدَّولة الحمَّاديَّة إلى الوجود أواخر القرن الرَّابع الهجري تحديدًا سنة 398هـ/1008م[31]، وكان مؤسِّسها "حمَّاد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي" الذي إتخذ من

29- حسن خضيري أحمد، **المرجع السَّابق**، ص27 وما بعدها.

30- عبد الحليم عويس: **دولة بني حمَّاد صفحة رائعة من التَّاريخ الجزائري**، دار الصحوة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، دار الوفاء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، المنصورة، 1991م، ط2، ص170 وما بعدها.

31- ابن خلدون: **العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيَّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السُّلطان الأكبر**، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1391هـ-1971م، ج6، ص171 ؛ إسماعيل العربي: **دولة بني حمَّاد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، د. ت، ص 119.

قلعة بني حمَّاد (قلعة أبي طويل)[32] التي تقع فوق سفح جبل تقربوست[33] بولاية المسيلة حاليًا عاصمةً لدولته النَّاشئة[34].

وقد شُيِّدت هذه القلعة على منحدر وعر فوق سفح جبل تقربوست على الحدود الشماليَّة لسهل الحضنة وعلى مسافة ستة وثلاثون كيلومتر من ولاية المسيلة وبالتَّحديد ببلدية المعاضيد دائرة أولاد دراج حاليًا، وغير بعيدة كثيرًا من ولاية برج بوعريريج ومدينة برج غدير التي سبقت بناء القلعة حيث ترجع إلى العهد الروماني[35]؛ ويحد القلعة شرقًا واد فرج الذي يجري من الشمال إلى الجنوب وعرف باسم وادي جراوة في العهد الحمَّادي، ويحدها غربًا قمة الغورين الشَّاهقة (1190 متر) التي لا يفصل بينهما وبين جبل الرَّحمة سوى مضيق يمكن الدِّفاع عنه بسهولة، ومن الجنوب يحدها طريق كثير التَّعاريج يساير وادي فرج[36].

وفي مدة قصيرة بلغت حوالي عامين أتمَّ حمَّاد بن بلكين بناء القلعة، فلم يأت رأس السنة الرَّابعة للهجرة حتَّى كانت الشوارع مكتظة والمساجد زاخرة والفنادق عامرة حيث رحل إليها من الثغور والقاصيَّة والبلاد البعيدة أرباب الصِّناعة والتِّجارة وأهل العلم والطلبة، وظل حمَّاد بن بلكين يفتح الحصون والقرى ويضمُّها إلى ولايته[37].

32- أُسِّست مدينة قلعة بني حمَّاد على أنقاض قلعة تُعرف بقلعة أبي طويل. (انظر: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ج6، ص128 ؛ حساني مختار: **الحواضر والأمصار الإسلاميَّة الجزائريَّة**، ج1، دار الهدى للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2011م، ص129-130).

33- تقربوست معناها باللغة البربريَّة السرج، وهذه التَّسميَّة هي التي حوَّلها العرب إلى جربيسة، وهذا الجبل الذي يحمل في كتب التَّاريخ أيضًا اسم جبل كيانة ويسمى في الوقت الحاضر جبل المعاضيد. (إسماعيل العربي، **المرجع السَّابق**، ص119 هامش2).

34- إسماعيل العربي، **المرجع السَّابق**، ص119 .

35- حساني مختار، **المرجع السَّابق**، ج1، ص129 .

36- إسماعيل العربي، **المرجع السَّابق**، ص119 .

37- ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج6، ص171 ؛ محمَّد الطمَّار: **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2010م، ص92.

وقد ذكر المؤرخون العديد من الأسباب التي جعلت حمَّاد بن بلكين يُشيِّد القلعة ويتخلى تدريجيًا على مدينة أشير التي جعلها أبناء عمومته الزيريِّين واليًا عليها بعد انتقالهم إلى عاصمة العُبيديِّين (الفاطميِّين) في بلاد المغرب المهديَّة، ومن أهم هذه الأسباب الموقع الإستراتيجي والعسكري للقلعة حيث شكلت حصنًا منيعًا للحمَّاديين عندما اشتدت بهم الخطوب، لأنَّ أشير التي كانوا يقيمون بها أصبحت غير صالحة نتيجة لقربها من مضارب قبائل زناتة التي كانت دائمًا تهدد ملكهم بالسقوط، كما أنَّ القلعة تتميز بالحصانة الطَّبيعيَّة لأنَّه لا يوجد أي منفذٍ يصل إليها إلاَّ من جهة واحدة يمكن مراقبته بكل سهولة[38]، بالإضافة إلى سهولة مراقبة المدن التَّابعة لملك حمَّاد بن بلكين مثل قسنطينة، المسيلة، سوق حمزة، أشير، بسكرة وغيرها وهذا نتيجة وقوع القلعة وسط هذه المدن، كما أنَّ القلعة تقع في منطقة تتميز بكثرة تحركات القبائل الرحل الذين يقومون بالتَّنقل بين الواحات الصَّحراويَّة وبذلك يكون التَّحكم في تحركات هذه القبائل سهل[39].

وهناك سبب آخر يمكن إدراجه يكمن في رغبة حمَّاد بن بلكين في إقامة دولة مستقلة عن الدَّولة الزيريَّة في تونس وهذا عن طريق إنشاء مدينة جديدة يتخذها عاصمةً لدولته[40].

وقد اعتمد الحماديون كغيرهم النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل حمَّاد بن بلكين، وفيما يخص الجانب المذهبي فقد كانوا في بداية الأمر على المذهب الشيعي في عهد حمَّاد، ولكن في عهد ولده القائد تخلى عن المذهب الشيعي وتحول للمذهب السني، كما تخلى عن الولاء للعبيديِّين في مصر وأعلن الولاء للعباسيِّين في بغداد. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الدَّولة الحمَّادية عمرت حوالي قرن ونصف القرن، حيث كانت قلعة بني حمَّاد العاصمة الأولى لهم لأكثر من نصف قرن بالتَّقريب حولي ثلاثة وستون سنة وتعتبر مرحلة تأسيس للدَّولة، ثم انتقل الحمَّاديون إلى بجاية فكانت العاصمة الثانية لهم في حدود سنة 461هـ/1069م[41] وعمرت دولتهم حوالي قرن من الزمن، وتعتبر هذه المرحلة هي

38- حساني مختار، **المرجع السَّابق**، ج1، ص129 وما بعدها.

39- محمَّد الطمَّار، **المرجع السَّابق**، ص93 .

40- حساني مختار، **المرجع السَّابق**، ج1، ص130-131.

41- ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج6، ص174 .

مرحلة التَّقدم والازدهار والرقي في جميع المجالات، وقد سقطت الدَّولة على يد الموحِّدين بقيادة أميرهم عبد المؤمن بن علي الكومي الذي استولى على عاصمتهم بجاية بعد عدَّة معارك عام 547هـ/1152م[42].

– أسباب انتقال الحمَّاديِّين من القلعة إلى بجاية:

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ انتقال الحمَّاديين من القلعة إلى بجاية وعن سبب انتقالهم ومن قام ببناء بجاية، حيث يرى كل من الحموي وابن الأثير والذهبي بأنَّ الناصر بن علناس هو من قام ببنائها سنة 457هـ/1065م، وينفرد كلٌ من الحموي وابن الأثير بذكر سبب بناءها حيث يرجعه هذا الأخير إلى نصيحة محمَّد بن البَعْبَع رسول تميم بن المعز الزيري إلى الناصر بن علناس حيث أشار عليه ببناء بجاية والانتقال إليها لكي يقترب من إفريقية ويمتلك المهديَّة وغيرها من مدن أبناء عمومته الزيريِّين، في حين يرجعه الحموي إلى رغبة الناصر بن علناس في تحصيل الآمان للحمَّاديِّين من كيد أعدائهم ولكي تعم الفائدة بأن تزدهر الصناعة في بجاية، بينما يرى ابن خلدون أنَّ بناءها كان سنة 460هـ/1068م وانتقال الناصر بن علناس إليها كان سنة 461هـ/1069م في حين يرى صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار بأنَّ المنصور بن الناصر هو الذي بنا بجاية بعد وفاة والده الناصر سنة 481هـ/1088م حينما ضيقت أعراب بني هلال وبني سليم غيرهما على قلعة بني حمَّاد وهددتها بالسقوط وسماها المنصورية، ويذكر الحميري الرأيين معًا حيث نسب بناء بجاية سنة 457هـ/1065م إلى الناصر بن علناس الذي أطلق عليها اسم الناصرية، وذكر الرأي الآخر الذي ينسب فيه بناء بجاية إلى المنصور بن الناصر للتَّخلص من خطر أعراب بني هلال وبني سليم الذين هددوا القلعة بالسقوط وسماها المنصورية[43].

42- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج9، ص372-373.

43- **مُعجم البلدان**، مج1، ص339 ؛ **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص46 وما بعدها ؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السَّلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1994م، ط1، مج30، ص289 ؛ **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ص129 ؛ **الرَّوض المعطار**، ص81 ؛ **تاريخ ابن خلدون**، ج6، ص174.

ونرى بأنَّ السبب الرئيسي في انتقال الناصر بن علناس من القلعة إلى بجاية هو التَّخلص من خطر الأعراب الذين هددوا القلعة بالسقوط، فعمل الناصر بنصيحة رسول تميم بن المعز محمَّد بن البَعْبَع وانتقل إلى بجاية المحصنة طبيعيًا من الأخطار الخارجية حيث يحيط بها البحر والجبال من كل الجهات ما عدا الجهة الغربية التي يمكن تحصينها بوضع جميع قوات الجيش لرد العدوان عليها.

– الحياة الاجتماعية:

كانت الحياة الاجتماعية للحمَّاديِّين راقية سواءً في القلعة أو في بجاية، فقد عاشوا في سلام وأمن ورخاء باستثناء فترة مجيء الهلاليِّين لبلاد المغرب، وقد ذكر الإدريسي ذلك الرخاء الذي عرفه ساكنة قلعة بني حماد حينما قال وهم أبد الدهر شِباع وأحوالهم صالحة، وعن أهل بجاية قال وأهلها مياسير تجار[44]، وتحدث الحسن الوزان عن طبيعة أهل بجاية بقوله والبجائيون أناس طيبون[45].

– الحياة الاقتصادية:

كانت الحياة الاقتصادية في العهد الحمَّادي متطورة ومزدهرة ازدهارًا كبيرًا جدًا في الميدان الزراعي والصناعي والتِّجاري ونستدل ذلك من شهادة الرحالة والجغرافيين حيث قال الإدريسي "وبالقلعة من الفواكه المأكولة والنِّعم المنتجة ما يلحقه الإنسان بالثمن اليسير، ولحومها كثيرة، وبلادها وجميع ما يضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب لأنَّها بلاد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت، وإذا قَلَّتْ كفَّت، فأهلها أبد الدَّهر شِباع وأحوالهم صالحة"[46]. ويقول عن مدينة بجاية بأنَّ السُّفن إليها مقلعة، والقوافل مُنحطة، والأمتعة إليها برًا وبحرًا مجلوبة والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى، وتجار الصحراء، وتجار المشرق، وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة، ولها بوادٍ ومزارع والحنطة والشعير بها موجودة بكثرة، والتِّين وسائر الفواكه بها منها ما يكفي لكثير من البلاد. وبها دار

44- **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس**، ص161-162.

45- **وصف إفريقيا**، ترجمة محمَّد حجي، محمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ط2، ج2، ص51.

46- **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس**، ص162.

صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب، والسُّفن والحرابي، لأن الخشب في أوديتها وجبالها موجودة بكثرة. ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة، والقطران، وبها معادن الطيب موجودة وممكنة، وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة. وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة، وهو نهر عظيم يجاز عند فمِّ البحر بالمراكب. وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلًا، ويجوز من شاء في كل موضع منه"[47].

ويذكر صاحب الاستبصار بأنَّه تصنع بمدينة قلعة بني حمَّاد أكسية ليس لها مثيل في الجودة والرقة إلَّا الوجدية التي تصنع بوجدة، يساوي كساء عيد من عمل القلعة ثلاثون دينارًا[48].

وعن بجاية يقول بأنَّها كثيرة الفواكه والأثمار، وجميع الخَيارات وهي مشرفة نزيهة، ومطلَّة على البحر وعلى فحص قد أحاطت به جبال دوره نحو عشرة أميال، تسقيه أنهار وعيون، وفيه أكثر بساتينهم. وله نهر كبير يقرب منها بنحو الميلين أو دونهما، وعليه كثير من جناتهم، وقد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر، وله منتزه عظيم. وبها مرسى عظيم تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها، ومن أقصى بلاد الروم، وسُفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر، وبلاد اليمن، والهند، والصين وغيرها[49].

– الحياة الفكرية:

ازدهرت الحياة العلمية والفكرية كثيرًا في العهد الحمَّادي سواءً في القلعة أو في بجاية، ففي القلعة يشهد الفن المعماري على ازدهار الميدان العلمي ككل، حيث بنا الحمَّاديون القصور، المساجد، الفنادق، الحمامات، البيمارستانات (المستشفيات) والأسواق وغيرها على مساحة قدرت بحوالي أربعين هكتار. وفيما يخص المساجد التي تعد من أهم مباني القلعة فقد تحدث المؤرخون عن تشيِّيد العديد منها وأهمها على الإطلاق المسجد الأعظم والمسجد الكبير. ومن أهم مباني القلعة

47- **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس**، ص161.

48- **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ص170. (ورد هذا الكلام أيضًا عند الحِميري). (انظر: **الرَّوض المعطار**، ص470).

49- **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ص130.

وعمرانها على الإطلاق القصور وكانت هذه القصور غاية في الإبداع والإتقان الفني، ومنها قصر يسمى بدار البحر الذي يقع في وسط المدينة على مسافة 150 متر من المسجد ويرجَّح أنَّه هو نفسه قصر الملك، وهناك قصور أخرى وهي قصر المنار والكوكب وقصر السَّلام وقصر حماد وقصر العروسين. كما أنَّه ظهر الكثير من العلماء في القلعة وتذكرهم كتب التراجم السِّير بأسمائهم مع إضافة مكان إقامتهم أو ميلادهم بقولهم القلعي نسبة إلى قلعة بني حماد[50].

وبالنِّسبة للعاصمة الثانية بجاية فقد كانت أكثر ازدهارًا من القلعة في الجانب العلمي والفكري وتفوقت في هذا الجانب على حواضر المغرب الإسلامي القيروان، فاس ومراكش، كما نافست كثيرًا حواضر المشرق الإسلامي دمشق، بغداد، والقاهرة وكذلك بلاد الأندلس وصقلية، وتعتبر بجاية من أهم وأكبر معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، وقد اعتنى المؤرخون والرحالة والجغرافيون كثيرًا بالحديث عن هذا التَّطور العلمي والحضاري الذي عرفته مدينة بجاية الحمَّادية لكونها كانت سباقة في بناء قلاع وعواصم إسلامية شامخة لعبت أدوار مجيدة في تاريخ الإسلام والفكر كما كانت قبلة للعلماء وطلبة العلم الذين جاءوا إليها من مشارق الأرض ومغاربها، فتعلموا فيها علوم ومعارف عديدة كالرياضيات، الفيزياء، الأدب، التَّاريخ، الفلسفة، العلوم الشريعة وغيرها، وحسب رواية أبي حامد الصغير الحسن بن محمَّد المسيلي فإنَّ بجاية وحدها كان بها تسعون مفتيًا أواخر القرن السَّادس الهجري كما كان بها أطباء وحكماء متضلعون في الفلسفة والحكمة وعلم التَّوحيد، وبها لغويِّين مبرزون وشعراء فحول و رياضيون مبتكرون ومحدثون أمناء ومتصوفون في القمة. وحتَّى العوام والعُمي في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري والمدونة والموطأ ويشرحونها للنَّاس من ذاكرتهم. ومن أبرز علماء الفترة الحمَّادية نذكر الفضيل بن سلمة البيجائي والرحالة المقرئ أبو القاسم يوسف البسكري، والفقيه الفيلسوف محمَّد بن علي بن الرمامة، والفقيه أبو عبد الملك مروان البوني واللغوي النحوي

50- ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمَّد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص97 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص175 ؛ إسماعيل العربي، **المرجع السَّابق**، ص124 وما بعدها ؛ عبد الحليم عويس، **المرجع السَّابق**، ص276 وما بعدها.

الحسن بن علي التيهرتي والعلامة يوسف الورجلاني والفقيه الفيلسوف أبو حامد الصغير المسيلي وغيرهم[51].

وفي الجانب العمراني ازدهرت بجاية ازدهارًا كبيرًا فقد بنا الحمَّاديون الأسواق، القصور، المساجد، الفنادق، المدارس وغيرها، ومن أشهر قصور بجاية نذكر قصر اللؤلؤة الذي قال عنه ابن خلدون كان من أعجب قصور الدنيا[52]، وقصر أميمون وقصر النجم وقصر بلارة وغيرها، وكانت مدينة بجاية محاطة بسور يحيط بها من كل الجوانب ويتخلل السور العديد من الأبواب منها باب البحر وباب البنود ومازالا إلى يومنا هذا، وكذلك باب اللوز وباب أميسون وباب المرسى[53].

– العلاقات الخارجية:

لم يكن حكام الدَّولة الحمَّادية يشعرون بولاء كبير نحو الفاطميِّين، بل كانوا يحسون رفقة أبناء عمومتهم الزيريون أنَّهم وحدهم الحقيقيون بزعامة بلاد المغرب، وقد شهد أوَّل خروج رسمي علني ضدَّ زعامة الخلافة الفاطمية وكان بطل هذا الخروج هو حمَّاد بن بلكين سنة 398هـ/1008م، ولقد حرص الفاطميون على أن تعود بلاد المغرب إلى حظيرتهم فتراهم يسارعون عند أية بادرة إلى بذل الهدايا وتقديم الألقاب وقد حدث ذلك عدة مرات، ففي سنة 532هـ/1137م وصل مركب فاطمي رحل من الإسكندرية ببضائع عظيمة وهدية لصاحب بجاية يحي بن العزيز[54].

وعن علاقتهم بأبناء عمومتهم المرابطين فقد كانت سلمية وغير عدائية إلى حد بعيد وعاشتا الدَّولتين الحمَّادية والمرابطيَّة في أمن وسلام، حيث رضي كلا الطرفين على الحدود التي تملكها دولته، باستثناء محاولة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في بداية حكمه التَّوسع في المغرب الأوسط للتَّخلص من قبائل زناتة التي لجأت لهذه البلاد وكانت تهدِّد الدولة المرابطيَّة، وقد تصدى الحمَّاديون

51- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص160-161 ؛ عبد الحليم عويس، **المرجع السَّابق**، ص247 وما بعدها.

52- **العِبر**، ج6، ص174.

53- إسماعيل العربي، **المرجع السَّابق**، ص190 وما بعدها.

54- عبد الحليم عويس، **المرجع السَّابق**، ص167 وما بعدها.

لأطماعه فتراجع الأمير يوسف عن طموحه، وشغل المرابطون أنفسهم بالجهاد في الأندلس، بينما تفرغ الحمَّاديون لمحاربة الأعراب في بلاد المغرب، وبذلك كان السِّلم والموادعة هي السِّمة التي غلبت على العلاقات بين الدَّولتين[55].

وفيما يخص علاقة الحمَّاديِّين بالأوروبيِّين (المسيحيِّين) فلم تظهر للعيان بشكل واضح وقوي إلَّا في النِّصف الثَّاني من القرن الخامس الهجري وحتَّى نهاية الدَّولة الحمَّاديَّة، وكانت على العموم طيبة مثالية، عكس علاقتهم بالدَّولة الزيريَّة التي كانت علاقة حرب وعداء. وقد أقام الناصر بن علناس علاقات ودية مع البابا جريجوري السَّابع ومدن الساحل الإيطالي، منحت للرعايا المسيحيِّين في المغرب الأوسط أمانًا كاملًا، وحصل الأسرى المسيحيِّين على حريتهم بأن اشتراهم الناصر وأرسلهم هدية للبابا، وقد رد هذا الأخير سنة 469هـ/1076م برسالة شكر وعرفان للناصر، وقد استمرت هذه العلاقات الودية بين الدَّولتين بعد الناصر.[56]

عنوان المحاضرة: الدَّولة المرابطيَّة في المغرب الإسلامي والأندلس

– نشأة الدَّولة:

ينتسب المرابطون إلى قبيلة صنهاجة الصحراء وقد عرفوا أيضًا باسم الملثمين لارتدائهم اللثام في وجوههم، وقد قامت دولتهم على أساس دعوة دينية حيث بدأت بالظهور في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) على يد رجال تحدوهم نزعة إصلاحية، أوَّل هؤلاء الرجال يحي بن إبراهيم الجدالي الذي أراد إصلاح شؤون قبائل صنهاجة الصحراء التي كان أهلها لا يعرفون من تعاليم الإسلام إلَّا الشيء القليل، فتجهز لأداء فريضة الحج سنة 427هـ/1036م وفي أثناء عودته منه لقي بالقيروان أبا عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي فلزمه واستمع لدروسه وطلب منه أن يرسل إلى

55- عبد الحليم عويس، **المرجع السَّابق**، ص179 وما بعدها.

56- إسماعيل العربي، **المرجع السَّابق**، ص176 وما بعدها ؛ عبد الحليم عويس، **المرجع السَّابق**، ص185 وما بعدها.

قومه تلميذًا يفقههم في الدِّين، فعرض الشَّيخ على تلاميذه الأمر فلم يقبل أحد منهم الذهاب معه لبُعد الدار ومشقة السفر والانقطاع عن الأهل في الصحراء، فحمَّله رسالة إلى تلميذ له في سجلماسة هو وجاج بن زلو اللَّمطي فانتدب له وجاج تلميذًا تقيًا من تلاميذه هو عبد الله بن ياسين الجزولي فارتحل هذا الأخير مع يحي بن إبراهيم الجدالي إلى مضارب قبائل صنهاجة الصحراء، وشرع في تعليم أهلها تعاليم الدِّين الإسلامي، وقد أنشأ لهذا الغرض رباطًا في مصب نهر السنغال، وعندما كثر أتباعه وبلغوا نحو ألف مريد شرع في غزو القبائل التي لم تذعن للإسلام بعد، وقد جعل من يحي بن إبراهيم الجدالي أميرًا على المرابطين، وعندما توفي في حدود سنة 440هـ/1048م خلفه في زعامة المرابطين يحي بن عمر اللَّمتوني وعند وفاته سنة 447هـ/1055م خلفه على زعامة المرابطين أخوه أبو بكر عمر اللَّمتوني الذي توسعت في عهده دولة المرابطين إلى شمال المغرب الأقصى[57].

ولمَّا وقع الخلاف بين قبيلتي لمتونة وجدالة في الصحراء عاد أبو بكر ابن عمر إلى هناك سنة 453هـ/1061م لمحاولة الإصلاح بينهما[58]، وقبل عودته جعل ابن عمه الأمير يوسف بن تاشفين اللَّمتوني خليفة له في شمال المغرب، ولما عاد أبو بكر إلى الشمال وجد ابن عمه قد استأثر بالحكم فزهد فيه ورجع من جديد إلى الصحراء حيث قام بنشر الإسلام في بلاد الزنوج (السودان الغربي) إلى

57- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص119 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج4، ص7 وما بعدها ؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السَّابق**، ص59 وما بعدها.

58- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص134 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص184. (غير أنَّ ابن الخطيب يقول أنَّ ذهاب أبي بكر بن عمر إلى الصحراء حدث سنة 452هـ/1060م، بينما يذكر صاحب الحُلل الموشيَّة وابن عذارى أنَّه ذهب سنة 463هـ/1070م، وعاد إلى المغرب في العام الموالي حسب هذا الأخير. وأرى أنَّه من غير الممكن السفر بجيش ضخم إلى الصحراء وفكِّ الخصومات بين قبائل المرابطين في مدة سنة واحدة فقط، كما أنَّ معظم المصادر التَّاريخيَّة ذكرت بأنَّ يوسف بن تاشفين عندما تركه أبو بكر في المغرب استفحل ملكه وعظم شأنه وكثر جنده، وقام ببناء مرَّاكش وفتح أقطارًا كبيرةً من شمال المغرب فمن غير المعقول بأن يفعل كل ذلك في مدة عام واحدٍ فقط، لهذا أُرجِّح ما ذكره ابن أبي زرع وابن خلدون). (انظر: **أعمال الأعلام**، ص232 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص24-25 ؛ **البيان المغرب**، ج4، ص21 وما بعدها).

أن استشهد بها في إحدى غزواته بعد أن أصيب بسهم مسموم في شعبان سنة 480هـ/نوفمبر 1087م[59].

وقد قام الأمير يوسف بن تاشفين حينما كان ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر في الصحراء ببناء مدينة مراكش سنة 454هـ/1062م واتخذها عاصمةً لدولته الناشئة، وقد عظمت دولة المرابطين في عهده مع مرور الزمن وتمكن يوسف من الاستيلاء على كامل بلاد المغرب الأقصى، والجزء الغربي من المغرب الأوسط، وأجزاء كبيرة من بلاد السودان الغربي وبلاد الأندلس[60].

وقد حكم يوسف بن تاشفين حوالي نصف قرن من الزمن ويعتبر المؤسِّس الحقيقي لدولة المرابطين وأقوى أمراءها على الإطلاق، وقد لقب نفسه بأمير المسلمين وناصر الدِّين وأعلن الولاء للخلافة العباسية في بغداد[61]، واتبع المرابطين الحكم الوراثي حيث حكم بعد الأمير يوسف أولاده وأحفاده، وكان مذهب الدَّولة الرسمي هو المذهب السني المالكي الذي تعصب له المرابطين كثيرًا ونبذوا باقي المذاهب[62].

وبالنِّسبة لنهاية دولتهم فقد سقطت بصفة كاملة في بلاد المغرب والأندلس عام 541هـ/1147م علي يد الموحِّدين بقيادة الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي[63].

59- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص135-136 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص233 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص184. (غير أنَّ ابن عذارى وصاحب الحُلل الموشيَّة يقولان أنَّ الأمير أبا بكر توفي سنة 468هـ/1075م، والأرجح ما أثبتناه في المتن). (انظر: **البيان المغرب**، ج4، ص26 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص28).

60- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص136 .

61- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج9، ص99 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص188 ؛ الطاهر المعموري: **الغزالي وعلماء المغرب**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص9.

62- علي محمَّد الصَّلابي: **تاريخ دولتي المرابطين والموحِّدين في الشمال الأفريقي، القسم الأوَّل دولة المرابطين في الشمال الأفريقي**، دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2009م، ط3، ص234.

63- **الحُلل الموشيَّة**، ص137 وما بعدها.

– المرابطون في الأندلس:

سمع بأخبار الدَّولة المرابطيَّة وأميرها يوسف بن تاشفين القاصي والداني في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فاشتهر ذكره وعلت مكانته، وراح أهل الأندلس يستنجدون به، ويُعلقون عليه الآمال لتخليصهم من عدوان النَّصارى الصَّليبيِّين الذي استفحل واشتد أكثر فأكثر عندما سقطت طليطلة على يد ألفونسو السَّادس ملك قشتالة سنة 478هـ/1085م[1].

ولم يُخيِّب الأمير يوسف آمال أمراء الطَّوائف فعبر إلى الأندلس للتَّصدي للقوى النَّصرانيَّة، فانتصر عليهم في معركة الزَّلاقة الشهيرة سنة 479هـ/1086م[2]، كما حقَّق الانتصار في معركة حصن حصن لبيط سنة 481هـ/1088م[3]، وتمكن بعد عامين من ذلك من الاستيلاء على الأندلس والقضاء على دويلات الطَّوائف بعد أن ثبت للعيان خيانة أمرائها بتعاونهم مع النَّصارى ضدَّ المسلمين، وبعد صدور فتاوى علماء المشرق والمغرب والأندلس بشرعية خلع هؤلاء الأمراء المتخاذلين[4].

وقد انتهج الأمير علي بن يوسف نهج والده في محاربة النَّصارى في الأندلس وإعلاء كلمة الجهاد في سبيل الله وحقَّق بدوره انتصارات خالدة في معظم المعارك التي خاضها ضدَّ الممالك

1- ابن الأبَّار، **التَّكملة لكتاب الصِّلة**، ص29 ؛ المقرِّي، **نفح الطِّيب**، مج4، ص352 ؛ ج.س.كولان: **المرجع السَّابق**، ص132.

2-ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص154 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج4، ص351.

3- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص152-153 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1،ص95.

4- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص250 ؛ محمَّد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس– العصر الثَّالث– عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ط2، ص41 وما بعدها.

النَّصرانيَّة مثل معركة أُقليش سنة 501هـ/1108م[1] ومعركة إفراغة سنة 528هـ/1134م وغيرهما[2].

– الحياة الاجتماعية:

كان المرابطون يمثلون الطبقة الحاكمة في الدَّولة، وكانت المناصب الكبرى كحاكم الولايات وقادة الفرق العسكرية حكرًا على البيت الحاكم لكي يضمن أمير المسلمين ولائهم له، وتمتع الفقهاء والقضاة بمكانة سامية في المجتمع المرابطي لدورهم الكبير في قيام الدَّولة، وكانت للمرأة مكانة رفيعة أيضًا على اعتبار أنَّ المرأة الصحراويَّة كانت دائمًا الركن الأساسي في بناء الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وكان لبعضهم دور في الحياة السِّياسيَّة مثل زينب النَّفزاويَّة، وعاش أهل الذمة في ضل الدَّولة في أمن وسلام وطبعت روح التَّسامح جميع الطَّوائف في المغرب والأندلس، وعاش العامَّة في رخاء وسعة خاصةً أيام يوسف بن تاشفين والنَّصف الأوَّل من ولاية علي بن يوسف[3].

وقد عاش المرابطون حياة البداوة والتَّقشف والزهد سواءً الأمراء أو الرعية لأنَّهم ألفوا ذلك في الصحراء، وكان الأمير يوسف متقشفًا في مأكله وملبسه ومسكنه، ومن صور تقشفه أنَّه لم يكن يأكل سوى خبز الشعير ولحوم الإبل وألبانها لا يتركها إلى غيرها من الأطعمة طوال حياته أينما حلَّ وارتحل[4]، وكان يكتفي بارتداء ثياب الصوف ولم يلبس قط غيرها رغم ما فتح الله عليه من الدنيا[5].

1- ابن القطان: **نُظُمُ الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزَّمان**، درسه وقدَّم له وحقَّقه محمود علي مكيّ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ط1، ج6، ص64-65 ؛ ميراندا أمبروسيو هويثي: **التَّاريخ السِّياسي للإمبراطوريَّة الموحِّديَّة**، ترجمة عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، المغرب، 2015م، ط2، ص123.

2- ابن القطان، **نُظم الجمان**، ج9، ص235 وما بعدها ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص245-255 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص173-174.

3- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين: **التَّاريخ السِّياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008م، ص325 وما بعدها.

4- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص136 ؛ ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، مطبعة الدَّولة التونسيَّة بحاضرتها المحمية، 1869م، ط1، ص66.

5- عبد الله كنون: **يوسف بن تاشفين**، منتدى ابن تاشفين المجتمع والمال، المحمدية، 2004م. ط2، ص60 ؛ محمَّد علي الصَّلابي، **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتب التابعين، القاهرة، ط1، 2001م، ص66.

وعندما استولى المرابطون على الأندلس سنة 483هـ/1090م تغيرت أحوال أمراء الدَّولة وقادتها حيث أصبحوا يعيشون عيشةً مترفة فتأنقوا في الملبس والمأكل متأثرين بالأندلسيِّين وحضارتهم[1].

– الحياة الاقتصادية:

عرفت الزراعة في العهد المرابطي ازدهارًا كبيرًا نظرًا لوجود مناخ ملائم ووفرة المياه بوجود مجاري مائية هامَّة في بلاد المغرب والأندلس، وقد لجأ المرابطون في عصر علي بن يوسف إلى تطبيق سياسة ذات أثر بعيد في انتعاش الزراعة، فقد أقطعوا الجند أرضًا في المغرب والأندلس يزرعونها وينتفعون بخيراتها في مقابل أداء واجب الدِّفاع عن الوطن وقت الحرب. وأهم المحاصيل الزراعية التي أنتجتها بلاد المغرب، القمح والشعير في طنجة والسوس وسجلماسة، والذرة بأودغست، والزيتون في مراكش ودرعة وجبل درن ومكناسة التي تعد أكثر المدن إنتاجًا له حتَّى أنَّها سُميت باسمه فعرفت بمكناسة الزيتون، كما اشتهرت منطقة السوس بزراعة قصب السكر. وبالنِّسبة للأندلس فقد أنتجت أراضيها خاصةً في شرقه محاصيل زراعية كثيرة، فقد اشتهرت زراعة الزيتون والكروم في دانية ومربيطر واشبيلية ومرسية، كما اشتهرت زراعة الكمثري والرمان والسفرجل في بلنسية، والتين في دانية ومالقة والقمح في مرسية. كما اهتم المرابطون بتربية الماشية لوجود مناطق رعوية واسعة في المغرب والأندلس، فازدهرت تربية الأغنام والأبقار والإبل والخيل وغيرها[2].

ازدهرت الصناعات في عصر المرابطين ازدهارًا عظيمًا، فقد توفرت المواد الخام اللازمة للصناعة وتدفقت من أسواق الأندلس والسودان الغربي، وظهرت مراكز صناعية ضخمة ذاع صيتها وارتفع نجمها، ومن أهمها في المغرب مراكش التي اشتهرت بصناعة الصابون والمغازل، وفاس بصناعة الزجاج

1- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين، **المرجع السَّابق**، ص326-327.

2- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين، **المرجع السَّابق**، ص358 وما بعدها ؛ عيسى بن الذيب: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دراسة اجتماعية واقتصادية (448-540هـ)/(1056- 1145م)**، أطروحة دكتوراه في التَّاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التَّاريخ، 2009م، ص262 وما بعدها.

خاصةً الملون منه، وكذلك صناعة تسبيك الحديد والنحاس، ومدينة نول لمطة التي اشتهرت بصناعة الدِّرق اللَّمطية والسروج ولجوم الخيل، ومدينة تارودنت التي كانت من اكبر مراكز صناعة السكر الذي كان يجلب إلى جميع بلاد المغرب والأندلس. أمَّا أهم المراكز الصناعية في الأندلس، مدينة المرية التي احتلت المرتبة الأولى في عصر المرابطين في صناعة المنسوجات الحريريَّة، كما اشتهرت أيضًا بصناعة السفن والتحف المصنوعة من الزجاج، كما اشتهرت قرطبة بالكثير من الصناعات خاصةً دباغة الجلود التي كانت تباع كسلعة غالية ونادرة لأوروبا، وصناعة المنسوجات والتحف الزجاجية والبلورية والخزفية، إلى جانب صناعة التحف العاجية والمعدنية والآلات الحديديَّة والحلي، وهناك مراكز صناعية أخرى في مدينة إشبيلية التي اشتهرت بصناعة الزيت المستخرج من الزيتون، وصناعة الحلي من الذهب النفيس[1].

حظيت التجارة بنصيب وافر في عصر المرابطين، فلقد كان لامتداد رقعة الدَّولة في المغرب والأندلس وبلاد السودان الغربي وكذلك الاستقرار السِّياسي عظيم الأثر في ازدهار النَّشاط التِّجاري، فنشطت حركة الصادرات والواردات ونمت التجارة الداخلية والخارجية برًا وبحرًا. وظهرت العديد من المراكز التِّجارية الهامَّة في المغرب والأندلس مثل أغمات، سجلماسة، المرية وإشبيلية وغيرها، وكان تجار أغمات يبيعون إلى مدن المغرب وبلاد السودان الغربي قناطير من الأموال النحاسية الحمراء والملونة، الأكسية، ثياب الصوف، العمائم، المآزر والزجاج وغيرها، ونشطت التجارة بسجلماسة حيث كانت طريق لغالبية القوافل التِّجارية القادمة من بلاد السنغال وغانة والمحملة بالذهب، ونشطت أيضًا الحركة التَّجارية بين دولة المرابطين ومدن الغرب الأوروبي وقد استحوذ تجار جينوة وبيزة على قدر كبير من تلك التجارة خلال العصر المرابطي[2].

– الحياة الفكرية:

1- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين، **المرجع السَّابق**، ص349 وما بعدها ؛ عيسى بن الذيب، **المرجع السَّابق**، ص308 وما بعدها.

2- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين، **المرجع السَّابق**، ص353 وما بعدها.

كانت دولة المرابطين مبنية على أسس دينية ولذلك اهتمت بالعلماء والفقهاء وقد ظهر منهم عدد كثير في المغرب والأندلس ساهموا مساهمة فعالة في ازدهار العلوم الدِّينية مثل قاضي الجماعة بقرطبة ابن رشد الجد، الشهيد القاضي أبو علي الصدفي، القاضي الفقيه أبو بكر بن العربي، القاضي عياض وغيرهم، كما ظهر عدد كثير من المؤرخين والجغرافيِّين في العهد المرابطي منهم ابن الصيرفي، ابن بسام الشنتريني، الفتح بن خاقان، الشريف الإدريسي وغيرهم. وازدهرت أيضًا الحركة الأدبية في دولة المرابطين في عهد الأمير علي بن يوسف عكس ما يدعيه المستشرقون من أنَّها كانت في انحطاط شديد، وقد اهتم الأمير علي بالشعر والأدب، وشجع الشعراء والأدباء فتوافدوا على بلاطه من الأندلس وامتدحوه منهم أبو العبَّاس أحمد بن عبد الله القيسي المعروف بالأعمى التيطلي، وأبو بكر يحي بن محمَّد بن يوسف، ولم يقتصر الاهتمام بالشعراء على الأمراء فحسب بل حتَّى الأسرة الحاكمة وكبار القادة وعمال الدَّولة على الأقاليم المختلفة اهتموا بهم وقربوهم منهم. وبالنِّسبة للجانب العمراني فقد اهتم المرابطون به أيضًا فقاموا ببناء المسجد الجامع بتلمسان، وبتوسعة جامع القرويِّين بفاس سنة 530هـ/1136م، وقاموا ببناء الأسوار والحصون والقلاع لدواعي حربية، مثل سور مراكش الذي تمَّ بناءه عام 520هـ/1126م، وأسوار المرية وقرطبة واشبيلية، ومن أشهر قلاعهم في الأندلس قلعة منتقوط في مرسية، وفي المغرب قلعة تاسغيموت القريبة من مراكش[1].

ويعاب على المرابطين الضيق الفكري الذي أصاب فقهائهم، وغلقهم باب الاجتهاد، حيث حاربوا الفرق الكلامية والفلسفية وألزموا النَّاس بفروع مذهب الإمام مالك وحده، وعملوا على منع بقية مذاهب السنة على الانتشار، ومن شدة تعصبهم لمذهبهم قيامهم بإحراق كتب حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي خاصة كتاب إحياء علوم الدِّين. كما يعاب على فقهاء المرابطين أيضًا

1- علي محمَّد الصَّلابي: **تاريخ دولتي المرابطين والموحِّدين في الشمال الأفريقي، القسم الأوَّل**، ص207 وما بعدها ؛ حمدي عبد المنعم محمَّد حسين، **المرجع السَّابق**، ص363 وما بعدها.

استغلال نفوذهم من أجل جمع المال وبناء الدور وامتلاك الأراضي وعيشهم حياة البذخ والرفاهية المفرطة[1].

– العلاقات الخارجيَّة:

كانت علاقة المرابطين بالعباسيِّين في بغداد علاقة ولاء وتبعية، حيث انضمت دولة المرابطين إلى الخلافة العباسية منذ عهد الأمير أبي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين وقد أرسل الخليفة العباسي لهذا الأخير تقليدًا واعترف بشرعية حكمه، فتلقب بلقب أمير المسلمين وناصر الدِّين، وقد وضع المرابطون أسماء الخلفاء العباسيِّين في السِّكة، ودعوا لهم في المنابر، وبقيت العلاقات ودية حتَّى انقراض دولة المرابطين[2].

وعن علاقة دولة المرابطين بالممالك النَّصرانية في الأندلس فقد كانت علاقة عداء وحرب شديد مع جميع هذه الممالك قطالونية والبرتغال وخاصةً مملكتي قشتالة وأراغون اللَّتين دخلتا مع المرابطين في معارك وحروب كثيرة. وبدأ هذا العداء لما عبر المرابطون إلى الأندلس لنجدة دويلات الطَّوائف من الزحف الصَّليبي على أراضيهم، وانتصارهم المدوي على ملك قشتالة ألفونسو السَّادس في معركة الزَّلاقة الشهيرة سنة 479هـ/1086م بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين، وقد استمرت علاقة العداء والحروب بينهما في عهد الأمير يوسف وولده علي، حيث قاد العديد من المعارك لرد عدوان النَّصارى على بلاد المسلمين وكان النصر تارةً للمرابطين وتارةً أخرى للممالك النَّصرانيَّة[3].

أما علاقتهم بالموحِّدين فقد كانت علاقة حرب وعداء أيضًا، فمنذ ظهور ابن تومرت على مسرح الأحداث في مطلع القرن السَّادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) والموحِّدين يحاربون المرابطين

1- علي محمَّد الصَّلابي، **تاريخ دولتي المرابطين والموحِّدين في الشمال الأفريقي، القسم الأوَّل**، ص234.

2- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين، **المرجع السَّابق**، ص235 وما بعدها.

3- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين، **المرجع السَّابق**، ص153 وما بعدها.

بالنَّشاط الدعوي والسِّلاح وخاضوا معهم معارك عديدة في المغرب والأندلس إلى أن تم القضاء على دولتهم بصفة نهائية بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي وهذا في سنة 541هـ/1147م[1].

عنوان المحاضرة: الدَّولة الموحِّديَّة في المغرب الإسلامي والأندلس

– تأسيس الدَّولة:

ينتسب محمَّد بن عبد الله المعروف بابن تومرت المؤسِّس الفقهي للدَّولة الموحديَّة إلى قبيلة هزغة البربريَّة وهي إحدى بطون قبيلة مصمودة الكبيرة، ولد في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ادعى النَّسب إلى آل البيت عن طريق الأدارسة (بيت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه) ولقَّب نفسه بالمهدي والإمام المعصوم ولكن المؤرخون والمحققون كشفوا كذب ادعاءاته، كان رجلًا فقيرًا اهتم بالعلم وتحصيله فارتحل سنة 500هـ/1106م إلى بلاد الأندلس ثمَّ إلى بلاد المشرق الإسلامي ودرس عند أكبر العلماء هناك، عاد إلى بلاد المغرب والتقى عبد المؤمن بن عليّ الكومي في قرية تاملالت (ملالة) في بجاية سنة 505هـ/1111م فقرَّبه إليه كثيرًا وجعله أكبر تلاميذه، وعاد معه إلى مراكش وشرع في تنظيم دعوته، حيث استقر في منطقة تينملل بالمغرب الأقصى وأظهر العداء الشديد لدولة المرابطين، وبنا رباطًا وكوَّن جماعة سماها الموحِّدون، وأقام تنظيمه على أساس هرمي قمته ابن تومرت المدعى للعصمة والمهداوية، ثمَّ تأتي جماعة أصحاب العشرة وهم أصحابه المقربين مثل عبد المؤمن بن علي الكومي، البشير الونشريسي، وأبو حفص عمر الهنتاني وغيرهم، ثمَّ تأتي جماعة

1- **الحُلل الموشيَّة**، ص137 وما بعدها.

الخمسين وتضم رؤساء القبائل وشيوخها الكبار وفي قاعدة الهرم تأتي جماعة السبعين. وبدأ ابن تومرت نشاطه الدعوي في منطقة السوس حيث قام بنشر نفوذه في المنطقة، وتسلط على النَّاس بأعمال قبيحة وملفقة وهيمن على فكرهم ومشاعرهم حتَّى استعبدهم، وشرع بعد ذلك في حرب المرابطين حيث خاض عدَّة معارك معهم أخطرها معركة البحيرة سنة 524هـ/1130م حيث زحف ابن تومرت وأتباعه على مراكش وفرض عليها الحصار أربعين يومًا ولكنه تعرض للهزيمة في آخر المطاف وقُتل بعض قادته الكبار وجرح هو جروحًا بليغةً توفي متأثرًا بها بعدها بأيام، وقد نجا في المعركة عبد المؤمن بن علي الكومي الذي بايعه الموحِّدون سرًا سنة 524هـ/1130م وعلنًا في سنة 526هـ/1132م[1].

استمر عبد المؤمن في حرب المرابطين واستولى على مناطق كثيرة بالمغرب الأقصى وفرض الحصار على مراكش عدَّة شهور وفتحها سنة 541هـ/1147م وقتل آخر أمراء المرابطين إبراهيم بن تاشفين ووضع حدًا نهائيًا لدولة المرابطين بالمغرب[2]. وتمكن من القضاء على الدَّولة الحمَّاديَّة في المغرب الأوسط والتي استولى على عاصمتها بجاية بعد عدَّة معارك سنة 547هـ/1152م[3]، كما قضى على النورمان واستولى على ممتلكات الدَّولة الزيريَّة في المغرب الأدنى وعاصمتهم المهدية سنة 555هـ/1160م[4] وبذلك يستولي الموحِّدون على كافة بلاد المغرب الإسلامي. وتمكنوا أيضًا من

1- البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1986م، ط2، ص11 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع، **المصدر السَّابق**، ص172 وما بعدها ؛ عبد المجيد النَّجار: **المهدي بن تومرت – حياته وآراؤه وثورته الفكريَّة والاجتماعيَّة وآثره بالمغرب**، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ط1، ص23 وما بعدها.

2- **الحُلل الموشيَّة**، ص137 وما بعدها.

3- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج9، ص372-373.

4- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ص146.

الاستيلاء على مدن الأندلس تباعًا والقضاء على دولة المرابطين والأمراء المتغلبين على بعض المدن بها ابتداءً من سنة 541هـ/1147م[1].

اتبع الموحِّدون النِّظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، وبالنِّسبة لمذهبهم فقد كان خليط من المذاهب فقد أخذوا بعض عقائد المعتزلة، وأخذوا من المذهب الأشعري في مجال الصِّفات، وأخذوا أيضًا من المذهب الشيعي إدعاء العصمة والمهداوية والإمامة، واستخدموا السِّلاح للوصول إلى الحكم على طريقة الخوارج، ومنعوا القياس والاجتهاد وباقي أصول الفقه واكتفوا بالقرآن والسنة وإجماع الصحابة[2].

بلغت الدَّولة الموحِّديَّة أوج عظمتها وقوتها في عهد الخليفة عبد المؤمن وولده يوسف وحفيده يعقوب المنصور، ومن صور قوتها مقارعتهم للنَّصارى الصَّليبيِّين في الأندلس، حيث قادوا معارك عديدة ضدهم وحقَّقوا في أغلبها انتصارات مدويَّة مثل معركة الأرك سنة 591هـ/1195م بقيادة الخليفة يعقوب المنصور[3] وغيرها، وتعرض الموحِّدون إلى بعض الهزائم القاسية من طرف النَّصارى منها على الخصوص معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م والتي كانت سببًا في تراجع دولة الموحِّدين وبداية النَّهاية في الأندلس والمغرب، حيث لم تقم لها قائمة بعدها واستمرت في الضعف الشديد إلى أن سقطت نهائيًا بسقوط عاصمتهم مراكش على يد المرينيِّين سنة 668هـ/1269م. وقد انقسم المغرب على إثر ذلك إلى ثلاث دول هي الحفصيَّة في المغرب الأدنى والزيانيَّة في المغرب الأوسط والمرينيَّة في المغرب الأقصى، واستولى بني نصر (بني الأحمر) على الأندلس[4].

– الحياة الاجتماعية:

1- ابن الأبَّار: **الحُلَّة السِّيراء**، حقَّقه وعلَّق حواشيه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ط2، ج2، ص199 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص34-35 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص312.

2- عبد المجيد النَّجار، **المرجع السَّابق**، ص131 وما بعدها.

3- ابن أبي زرع، **المصدر السَّابق**، ص220 وما بعدها ؛ السَّلاوي، **المرجع السَّابق**، ج2، ص165 وما بعدها.

4- محمَّد عيسى الحريري: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م)-(869هـ/1465م)**، دار القلم للنَّشر والتَّوزيع، الكويت، 1987م، ط2، ص31 وما بعدها.

أظهرت الدَّولة الموحِّديَّة اهتمامًا بالغًا بالأعمال الاجتماعيَّة لا سيما في خلافة يعقوب المنصور الذي اهتم بأحوال المرضى فشيَّد مارستان دار الفرج في مراكش، وأجرى له ثلاثين دينارًا كل يوم برسم الطعام، خارجًا عما تكفله من أدوية وصيادلة وأطباء وثياب ليل ونهار وللصيف والشتاء للمرضى، ومن كان فقيرًا كان يعطى مالًا يكفيه حتَّى يستقل. ويظهر الاهتمام بالفقراء من الهبات التي كانت تعطى لهم في المناسبات، يضاف إلى هذا أنَّه في وقت المجاعات كانت أبواب الخازن تفتح لإطعام الفقراء بلا ثمن وللأغنياء بثمن، هذا عدا عن المساعدات في الكوارث مثل بناء الأسواق إذا ما أصابها حريق. ومن مظاهر الرعاية التي تكفلها الدَّولة الاهتمام بالطفولة، فقد كان المنصور يأمر بختن أطفال مراكش ويجعل لكل منهم دينارًا من ذهب ودرهمًا من فضة وحبة فاكهة، وقد صرف في هذ المشروع ذات مرة ألف ألف دينار ودرهم، ويبدو أنَّه كان يبذل رعاية خاصة بالأيتام منهم. ولم تكن المساعدات وقفًا على رعايا الدَّولة الموحِّديَّة، فقد كانت تشمل الغرباء لا سيما النابهين منهم فيربط لهم العطاء وتكثر الهبات[1].

– الحياة الاقتصادية:

عمى الأمن ربوع الدَّولة الموحِّديَّة مما سمح بازدهار الاقتصاد، حيث اتسعت الزراعة وراجت التجارة ونهضت الصناعة وكثرت المجابي وبلغت الدَّولة في ازدهارها الاقتصادي حالة لم ير أهل المغرب أيامًا قط مثلها. وكان لتنوع المناخ وشساعة الأراضي الزراعية فضل في ازدهار الزراعة، كما يعود الفضل الأكبر إلى سياسة الدَّولة نفسها، فالخلفاء غرسوا كثيرًا من البساتين وحثوا النَّاس على التَّوسع في الزراعة، وأشركوا الجند في الحصاد في بعض الأوقات، وعملوا على حماية الزراعة من الثورات والفتن. وتجلت النَّهضة الصناعية في استغلال المعادن وصناعة السفن التي انتشرت دورها في المدن الساحلية مثل طنجة، سبتة، بادس، وهران، هنين، بونة، المهدية، تونس، قادس، المرية وغيرها، وإنتاج السِّلاح والمصنوعات الزراعية وخاصةً المنسوجات والسكر والزيت. ورافقت هذه النَّهضة الزراعية والصناعية

1- عز الدِّين عمر موسى: **الموحِّدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ط1، ص293.

اتساع في التجارة الداخلية والخارجية فقد تاجر الموحِّدون مع بلاد المشرق الإسلامي، وبلاد السودان الغربي وأوروبا، وعقدوا الاتفاقات التَّجارية[1].

– الحياة الفكرية:

إنَّ ازدهار المعارف وتنوعها من سمات العصر الموحِّدي البارزة، فقد استوت الشخصية العلمية للمغرب الإسلامي في صورتها التامة، بفضل طابع الدَّولة العقائدي وتشجيع الخلفاء لأهل الفكر والأدب على العطاء، وقد أسَّسوا المدارس وشيَّدوا المساجد، ونظموا خزائن للكتب، ووفروا جو من الحرية أرحب من الجو الذي وفره المرابطون. هذا بالإضافة لما للمنافسة بين مشرق الإسلام ومغربه، والعُدوتين الأندلسية والمغربية من أثر في إثراء الحياة الفكرية والأدبية، فغذتها بروح وثابة كان لها الفضل في تدوين كثير من المؤلفات، ولكل هذه العوامل تشعبت فنون المعرفة وكثر العلماء في كل فن. لقد نادى الموحِّدون بالاجتهاد والرجوع للكتاب والسنة فزاد اهتمام النَّاس بالقرآن وعلومه، والحديث وروايته، فظهر مفسرون كبار كأحمد بن مسعود القرطبي وأبي الربيع الكلاعي، ومحدثون كبار كابن دحية أبي الخطاب وابن القطان الفاسي وغيرهما. ونالت علوم العربية وآدابها حظًا عظيمًا وللدلالة على ذلك يكفي أن نذكر ابن هشام اللخمي الإشبيلي وأبا موسى الجزولي، ونفقت سوق الشعر والنثر، وإذا أخذنا الشعر مثلًا نجده قد تعددت ضروبه وكثرت أغراضه وبرز أعلام في كل فن كابن حزمون في الهجاء وابن سهل في المجون، وأبي زيد الفازازي في الزهد، وابن عربي في الشعر الصوفي، وابن حبوس في المدح. وبلغ المغرب الإسلامي في علوم التَّاريخ والجغرافيا والرحلات والتَّصوف والفلسفة والطب شأوًا لم يبلغه من قبل، ولهذه الحقبة انتمى ابن صاحب الصلاة، وعبد الواحد المراكشي وابن جبير وابن سعيد المغربي وغيرهم[2].

– العلاقات الخارجية:

1- عز الدِّين عمر موسى، **المرجع السَّابق**، ص51 وما بعدها.

2- عز الدِّين عمر موسى، **المرجع السَّابق**، ص53 وما بعدها.

أشرنا في المحاضرة السابقة بأنَّ علاقة المرابطين بالموحِّدين كانت علاقة حرب وعداء، ونفس العلاقة ربطت الموحِّدين بالزيريِّين في إفريقية والحمَّاديِّين في المغرب الأوسط، فقد مرَّ ابن تومرت المؤسِّس الفقهي للدَّولة الموحِّديَّة في حدود سنة 505هـ/1111م على مدينة بجاية الحمَّاديَّة، وأظهر سخطه من الأوضاع الدِّينيَّة والسِّياسيَّة والاجتماعية السائدة آنذاك. وتجلى العداء الشديد بين الموحِّدين والدَّولتين الزيريَّة والحمَّادية في كون الموحِّدين بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي هم من أسقطا هاتين الدَّولتين فقد سقطت الدَّولة الحمَّاديَّة في أيديهم سنة 547هـ/1152م، والدَّولة الزيريَّة سنة 555هـ/1160م[1].

وفيما يخص علاقة الموحِّدين بالممالك النَّصرانية في شمال الأندلس فقد كانت علاقة عداء وحروب مع جميع الممالك النَّصرانيَّة قشتالة وأراغون وليون والبرتغال وغيرها، وقد بدأ هذا العداء منذ استيلاء الموحِّدين على الأندلس في حدود سنة 541هـ/1147م، وحدثت بينهما معارك وحروب طاحنة كان فيها الانتصار للموحِّدين أحيانًا وللممالك النَّصرانية أحيانًا أخرى، مثل غزوة شنترين سنة 580هـ/1184م والذي استشهد فيها الخليفة الموحِّدي يوسف بن عبد المؤمن، ومعركة الأرك الشهيرة سنة 591هـ/1195م بقيادة يعقوب المنصور. ونشير إلى أنَّه تخللت علاقة العداء علاقة السِّلم والموادعة في بعض الأحيان والظروف بين الممالك النَّصرانيَّة والموحِّدين، فلمَّا اشتدت غزوات الموحِّدين على الممالك النَّصرانيَّة وحقَّقت انتصارات عديدة عليهم، سارع ملوكها وأمرائها لطلب الهدنة من الموحِّدين وقد حلت البعثات بإشبيلية في شهر ذي الحجة سنة 568هـ/جويلية 1173م على الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من قبل حاكم طليطلة الكون نونيو ودي لارا، وألفونسو الثَّامن ملك قشتالة، وملك البرتغال ألفونسو هنريكيز لطلب الهدنة، وبعد مفاوضات استمرت شهرين كاملين تكللت بقبول الخليفة توقيع الهدنة مع هؤلاء الملوك[2]. كما سارع المغامر ورئيس العصابة التي

1- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج9، ص372-373 ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ص146.

2- ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحِّدين)**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ط2، ص436-437 ؛ ميراند، **المرجع السَّابق**، ص262.

عاثت في غرب الأندلس فسادًا واستولت على مدن المسلمين وممتلكاتهم "جيرالدو سمبافور" إلى طلب الهدنة مع الموحّدين أيضًا لأنَّه شعر بأنَّه فقد مكانته وأغلقت في وجهه فرص المغامرة وأنَّ الموحّدين سوف يتفرغون لقتاله، فسار في صحبة رجاله الثلاثمائة والخمسين إلى إشبيلية سنة 569هـ/1174م والتمس قبوله عبدًا وخادمًا للخليفة يوسف لكي يضمن قوت يومه فقبل الخليفة التماسه وأحسن إليه وأكرمه[1].

عنوان المحاضرة: الدَّولة الحفصيَّة في المغربين الأدنى والأوسط

– تأسيس الدَّولة:

الحفصيون ينتمون إلى قبيلة هنتانة إحدى فروع قبيلة مصمودة البربريَّة، أسَّس الإمارة الحفصيَّة في المغرب الأدنى "أبو حفص عمر بن يحي الهنتاني" أحد رجال ابن تومرت العشرة الذين تمَّ اختيارهم لرئاسة هذه الإمارة التي بدأت بالظهور في الوقت الذي أخذ نجم الموحّدين في الأفول. وكانت هذه الإمارة تابعة للدَّولة الموحّديَّة ثمَّ أعلن أبو زكريا يحي الأوَّل الانفصال عن الموحّدين لما شعر بضعف دولتهم، فاستبد بأعمال تونس والقيروان منذ عام 627هـ/1230م ولم يقنع بنفوذه في المغرب الأدنى فزحف على المغرب الأوسط عام 628هـ/1231م واستولى على قسنطينة وبجاية، كما استولى أيضًا على الجزائر والشلف عام 636هـ/1238م واستسلمت له تلمسان 640هـ/1242م وفرَّ منها حاكمها الزياني ياغمراسن، ومن بعد أبي زكريا سيطر الحفصيون على إمارة مليانة عام 659هـ/1261م وبدأت بذلك سيطرتهم على معظم المغربين الأدنى والأوسط، وعلا شأنهم وجاءتهم البيعة من كل جهة داخل إفريقيا وفي بعض أقاليم الأندلس مثل إمارة إشبيلية، ومن مكة نفسها

1- البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت**، ص132 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص130 ؛ ميراند، **المرجع السَّابق**، ص262 ؛ محمَّد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس– عصر الموحّدين**، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، 2002م، ج5، ص90.

بالأراضي المقدسة عام 657هـ/1259م حتَّى أمراء بني مرين في مراكش بايعوهم لمدة قليلة ثمَّ نقضوها[1].

اتخذ الحفصيون من النظام الوراثي قاعدة للحكم حيث اقتصر الحُكم على نسل أبو زكريا يحي الأوَّل دون غيره، وكان المذهب السني المالكي هو المذهب الرسمي للدَّولة. وعمرت دولتهم التي اتخذت من تونس عاصمةً لها حوالي ثلاثة قرون ونصف القرن إلى أن سقطت في يد الأتراك العثمانيِّين سنة 981هـ/1573م وكان مجال حكمهم المغرب الأدنى والجزء الشرقي من المغرب الأوسط (الجزائر حاليًا) حيث وصل نفوذه إلى غاية مدينة بجاية التي تعتبر الحد الفاصل بينها وبين الدَّولة الزيانيَّة[2].

– الحياة الاجتماعيَّة:

يتكون المجتمع الحفصي من عنصرين رئيسيين هما البربر والعرب وأقليات عديدة من الأفارقة واليهود والنَّصارى وغيرهم، وقد عاشت هذه العناصر السكانية في أغلب الأحيان في انسجام وسلام، واستعاد اليهود حياتهم بصورة تكاد تكون طبيعية وخالية على الأقل من التخوف المستمر بشأن ذواتهم وممتلكاتهم، كما هاجرت أعداد كثيرة منهم من أوروبا واستقرت في بلاد المغرب ومارست التجارة وشعائرها الدِّينيَّة بكل حرية. أما النَّصارى التي تناقصت أعدادها بشكل كبير منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فهي تمثل جالية قليلة العدد بالمقارنة مع اليهود وعاشت هي الأخرى في سلام ومارست التجارة البحرية بالخصوص. وفي الغالب مارس سكان المدن الصناعة والتجارة واهتم سكان الأرياف بالزراعة وتربية الماشية[3].

– الحياة الاقتصادية:

1- الزركشي: **تاريخ الدَّولتين الموحِّديَّة والحفصيَّة**، تحقيق وتعليق محمَّد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ط2، ص23 وما بعدها ؛ حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص229 وما بعدها ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص201.

2- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص203.

3- روبار برنشفيك: **تاريخ إفريقيَّة في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، نقله إلى العربية حمَّادي السَّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ط1، ج1، ص356 وما بعدها.

ازدهرت الحياة الاقتصادية في العهد الحفصي في الميدان الزراعي والصناعي والتجاري، فقد كثرت المحاصيل الزراعية وتنوعت، وأنتج الحفصيون الحبوب من قمح وشعير، والزيتون ومختلف الفواكه مثل الرمان والعنب وغيرها. وقد ظهرت في تونس العاصمة وغيرها من المدن الحفصيَّة أسواق عديدة مخصصة للصناعة والتجارة، وتدل هذه الأسواق عن ازدهار الصناعة ورواج التجارة الداخليَّة منها والخارجيَّة، وقد اصطفت هذه الأسواق حول الجامع الأعظم وهي أسواق كلها مغطاة تقريبًا في مأمن من الشمس والمطر، منها سوق العطارين أو باعة التَّوابل والعطور، وسوق القماش، وغير بعيد عنهما يوجد سوق القشَّاشين أو باعة الخردة وسوق الصَّاغة بالإضافة إلى سوق الجبَّة والغزل، وقريبًا من الزاوية الجنوبيَّة الشرقيَّة للجامع الأعظم توجد سوق الكتبيِّين أي سوق الكتب، وهناك أسواق أخرى مثل سوق باعة الفواكه الجافة، وسوق الحدادين والجزارين وغيرها. ومن الأماكن التي تكتسي أهمية بالغة بالنِّسبة للحياة الاقتصادية نشير إلى حي الميناء أو البحرية الذي كان يشتمل بالخصوص على فنادق التجار النَّصارى المجتمعين بحسب جنسياتهم، ثمَّ نجد فيما وراء إحدى الساحات دار صناعة السفن التي أسهمت بقوة أسطولها البحري في رواج المبادلات التجارية مع بلاد المغرب والأندلس وأوروبا وبلاد المشرق الإسلامي[1].

– الحياة الفكرية:

نهضت الحياة الفكرية والفنية والثقافية في العهد الحفصي، وأصبحت تونس عاصمة الدَّولة من أكبر المراكز الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي وقد سرقت الإشعاع الحضاري من عاصمة عقبة القيروان، وقد ظهر في العهد الحفصي العديد من العلماء والمؤرخين مثل المؤرخ والفيلسوف عبد الرَّحمان بن خلدون صاحب المقدمة الشهيرة وغيرهم. وقد اهتم الحفصيون ببناء المؤسسات الدِّينيَّة في تونس عاصمة الدَّولة وباقي المدن الكبرى على غرار بجاية وقسنطينة وغيرهما، ففي تونس تمَّ توسيع جامع الزيتونة العريق وتجميله، وبناء العديد من المساجد منها جامع القصبة، وجامع سيدي يحي السليماني وغيرهما، كما بنا الحفصيون المدارس التَّعليميَّة مثل المدرسة التي أنشأتها امرأة من العائلة

1- روبار برنشفيك، **المرجع السَّابق**، ج1، ص376 وما بعدها.

المالكة وهي أخت أبي يحي أبي بكر في نهج عنق الجمل في المدينة العتيقة أطلق عليها اسم مدرسة عنق الجمل أو المدرسة العتيقة وقد انتهى بناؤها سنة 741هـ/1341م، وأنشأ الخليفة أبو عبد الله المستنصر في سوق الفلقة مدرسة سُميت باسمه وهي المدرسة المنتصرية التي تمَّ بنائها اخو عثمان سنة 840هـ/1437م، وقد أنشأت مدارس أخرى في أحياء عديدة منها مدرسة بحي الحلفاويِّين والمدرسة الشَّماعيَّة والتَّوفيقيَّة، كما ظهرت زوايا مرتبطة بالحركة الصوفية في القرن الثالث عشر ميلادي، ثمَّ ازدهرت تمامًا بعد ذلك بمائتي سنة، فإنَّها تحتل منذ ذلك التَّاريخ منزلة يقرأ لها حسابها في تونس الحفصيَّة[1].

– العلاقات الخارجية:

تراوحت علاقة الحفصيِّين بالزيانيِّين بين التبعية والاستقلال وبين السِّلم والحرب، ففي عهد الأمير الحفصي أبو زكريا يحي الأوَّل قام بنو زيان بمبايعته والدعوة له على منابرهم، ورغم الوحشة التي حصلت عندما حاول الأمير الزياني عثمان بن يغمراسن غزو بجاية إلَّا أنَّه سرعان ما عادت المياه إلى مجاريها، واستمر بنو زيان في تبعيتهم للحفصيِّين، وقد تدخل أمير بجاية الحفصي لمساعدة الزيانيِّين عندما غزا السلطان المريني يوسف بن يعقوب تلمسان عام 698هـ/1299م وخاض معهم معركة جبل الزاب أوقعت بها هزيمة كبيرة في معركة مرسى الرؤوس لكثرة ما تساقط خلالها من رؤوس العباد. ولما حاول سلطان تونس أبو عصيدة بن الواثق عقد اتفاق مع السلطان المريني لإسقاط عرش تلمسان، رد على ذلك الأمير عثمان بن يغمراسن بإسقاط الدعوة الحفصيَّة من منابر تلمسان وقطع حبل التبعية بهم وبذلك يبدأ دور الاستقلال عن الحفصيِّين والخضوع للمرينيِّين، وحينما بدأت مرحلة ضعف الدَّولتين الزيانية والمرينية عاد الحفصيون للتدخل في الشؤون الداخلية للدَّولة الزيانيَّة ومحاولة السيطرة عليها وضمها إلى دولتهم، وقد نظم الحفصيون حملة بجيش ضخم من خمسين ألف محارب تمكن خلالها من احتلال تلمسان عام 827هـ/1424م وعزل أميرها أبو مالك الزياني، وبعد مدة

1- روبار برنشفيك، **المرجع السَّابق**، ج1، ص369 وما بعدها.

أعاده للحكم من جديد، وبقيت العلاقة متوترة بين الدَّولتين حيث استغل الحفصيون تناحر أمراء بني زيان وضعف دولتهم للتدخل في شؤونها[1].

مرت علاقة الحفصيِّين بالمرينيِّين بثلاثة مراحل أساسية وهي مرحلة تبعية المرينيِّين الاسمية لبني حفص، وكان الغرض من إعلان التبعية هو إضفاء لون من ألوان الشرعية على حركتهم واتجاههم لتصفية الموحِّدين بدون تدخل للحفصيِّين، كما حرصوا على إرضاء العامَّة في المغرب الأقصى وجذبهم لصفوفهم، تاليه المرحلة الثانية وهي مرحلة السيطرة المرينيَّة على الحفصيِّين وتمت بعد مساعدة المرينيِّين للحفصيِّين في مقارعة الزيانيِّين وكذلك علاقة المصاهرة التي حدثت بين الدَّولتين حيث اضطر الحفصيِّين لمصاهرة أبي الحسن المريني للمرة الثانية، وتجلت بوضوح هذه السيطرة المرينيَّة أثناء الاحتلال المريني لمعظم بلاد إفريقية خلال عهد السلطان أبي الحسن والسلطان أبي عنان، فتحولت العلاقات من الود والإخاء إلى علاقات عدائية، وتأتي المرحلة الثالثة وهي مرحلة عودة العلاقات الودية بين الدَّولتين والتي بدأت بعد حدوث الاضطراب في البيت المريني وظهور الصراع على العرش بعد وفاة السلطان أبي عنان سنة 759هـ/1375م واستمرت علاقة الود حتَّى نهاية الدَّولة المرينيَّة في بلاد المغرب[2].

تراوحت علاقة الحفصيِّين بالدول الأوروبية بين السِّلم والعداء. ولقد كان لاتساع نفوذ الحفصيِّين داخل إفريقيَّة وخارجها أثر كبير في فتح الطريق لربط العلاقات الطيبة بينهم وبين عدد من دول وممالك أوروبا مثل صقلية والإمبراطورية الألمانية، وقدموا للمسلمين في الأندلس مساعدات كثيرة في مختلف المناسبات. وبالنِّسبة لعلاقة العداء فقد تجلت خصوصًا في مقاومة الحفصيِّين للحملة الصَّليبيَّة الثامنة التي قادها ملك فرنسا لويس التاسع عام 669هـ/1270م والذي انهزم في معركة المنصورة في مصر فحاول أن يغسل عارها في ميدان آخر ولم يجد أصلح من بلاد المغرب ولكنه في هذه المرة كلفه أهلها حياته كلها وهزيمة لقواته الصَّليبيَّة. كما قام الحفصيون أيضًا بفضل أساطيلهم

1- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص223 وما بعدها.

2- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص211 وما بعدها.

الضخمة في تونس وبجاية وغيرها برد العدوان الأوروبي واقتحام مراكز القراصنة في موانئ أوروبا نفسها كإسبانيا والبندقية وجينوة وصقلية[1].

عنوان المحاضرة: الدَّولة الزيانيَّة في المغرب الأوسط

– قيام الدَّولة:

ينتسب بني عبد الواد أو الزيانيون[2] إلى قبيلة زناتة البربريَّة التي استقرت منذ أزمنة طويلة بالمنطقة الغربية من المغرب الأوسط (الجزائر حاليًا) وقد بدأ بني عبد الواد في البروز في مسرح الأحداث التَّاريخيَّة في بلاد المغرب في سنة 627هـ/1230م حينما بدأ نجم الدَّولة الموحِّديَّة في الانهيار، حيث ظهر جابر بن يوسف بن محمَّد كزعيم لبني عبد الواد وقام بالتَّصدي ليحي بن غانية الميورقي حينما هاجم مدينة تلمسان وانتصر عليه وشتت شمله، فأعجب به الخليفة الموحِّدي المأمون وكتب له البيعة على تلمسان وسائر قبائل زناتة تكريمًا له، فاضطلع بالأمر وكان ذلك بداية لقيام دولة بني عبد الواد التي تسلم قيادتها الأمير الشاب يغمراسن بن زيان سنة 633هـ/1236م بعهدٍ من الخليفة الموحِّدي الرشيد، وقد تميز يغمراسن بقوة العزيمة وحصافة الرأي وسداد التَّدبير، فاضطلع بالأمر في عزم وقوة وأخضع إلى سلطته كل الذين كانوا قد خرجوا عن طاعة أخيه أبي عزه زكرار بن زيان وأحسن السيرة في النَّاس تدبيرًا وسياسةً، واعتنى بتنظيم قواته العسكريَّة وتوفير الأسلحة والذخيرة لها حتَّى تستطيع القيام بواجبها الدِّفاعي على البلاد. واستحدث مجلسًا وزاريًا وكتبةً ليساعدوه على تسيِّير

1- روبار برنشفيك، **المرجع السَّابق**، ج1، ص56 وما بعدها ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص202.

2- كانت هذه الدَّولة في بداية عهدها يطلق عليها اسم دولة بني عبد الواد، ثمَّ لما تولى أمرها السلطان أبو حمو موسى الأخير عام 760هـ/1359م وأحياها بعد اندثارها وأطلق عليها اسم الدَّولة الزيانيَّة. (يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص220).

شؤون الإمارة، واتخذ لنفسه مظاهر الملك وألغي سيطرة الموحّدين الفعلية ولم يبق لهم سوى عادة الدَّعوة للخليفة على المنابر أيام الجمع والأعياد[1].

عمرت الدَّولة الزيانيَّة أكثر من ثلاثة قرون، وحكمت الجزء الغربي من المغرب الأوسط واتخذت من تلمسان عاصمةً لها، واتبعت النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل يغمراسن بن زيان. وكانت حياتها كلها صراعًا مستميتًا وطويلًا ضدَّ قوى متصارعة متطاحنة عليها، فالدَّولة المرينيَّة من الغرب والدَّولة الحفصيَّة من الشرق تسعيان لمحاولة السيطرة عليها وإزالتها من الوجود، وفي أواخر عمرها تعرضت للعدوان الإسباني على سواحلها، ثمَّ تدخل الأتراك العثمانيِّين في النِّهاية الذين عزلوا آخر أمرائها عن الحُكم "الحسن بن عبد الله الزياني" وبذلك تندثر دولة بني عبد الواد من الوجود سنة 961هـ/1554م[2].

– الحياة الاجتماعية:

شكل البربر أهم عنصر سكاني داخل تلمسان ومحيطها في عصر الدَّولة الزيانيَّة، وأهم قبيلة للبربر هي زناتة والتي تنتمي إليها الأسرة الحاكمة، والعرب الذين كانوا منتشرين أيضًا حول تلمسان وبداخلها وتشمل القيسية واليمنية والشاميِّين والقبائل الهلالية، كما وجدت مجموعات سكانية أخرى وهي أقلية تتمثل في الأتراك الغز والأندلسيون الذين تزايدت أعدادهم تدريجيًا خاصةً بعد سقوط مدنهم تحت ضربات الممالك المسيحيَّة، بالإضافة إلى اليهود الذين زادت أعدادهم مع هجرة المسلمين من غرناطة سنة 793هـ/1391م وأغلب نشاطاتهم التجارة، والنَّصارى وقد كانوا إما جندًا أو تجارًا أو عمالًا في القصر الزياني. وينقسم المجتمع الزياني إلى طبقتين الخاصة والعامَّة، فالخاصة تتمثل في السلطان وأسرته ووزراءه وكبار الموظفين وقادة الجند وكبار التجار والقضاة والعلماء خاصةً المقربين للسلطة، أمَّا العامَّة تتمثل في صغار التجار والحرفيِّين والفقراء والعبيد وغيرهم. وكان للسلطان لباس مميز عن لباس الرعية، فقد كان يرتدي إشارة الملك والعمامة، أمَّا في الحروب لم يتميز لباسه عن باقي

1- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **المرجع السَّابق**، ص53 ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص220 وما بعدها.
2- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص220.

أفراد الرعية، كما كان لباس التجار مميزًا أيضًا، حيث يرتدي التجار الحضريون لباسًا جميلًا، ففي فصل الشتاء يشمل قميصًا من الصوف والحرير وسترة ضيقة فوقها عباءة واسعة ويغطون ذلك ببرنس ويضعون قلنسوة على رؤوسهم، وكان العلماء والقضاة والأساتذة يلبسون أفضل من لباس الطلبة الذين يلبسون ثيابًا بسيطة حسب وضعهم ويكون لباسهم مشابهًا للباس المنطقة التي جاءوا منها. وبالنّسبة للباس المرأة فقد كانت تلبس ثياب الحرير والكتان والقطيفة ويلبسن في أقدامهن الجوارب وتتزينّ بأساور الذهب والجواهر وخلاخل الفضة. ويعود اختلاف الملابس والزي إلى اختلاف طبقات النّاس واختلاف دخلهم الاقتصادي بالإضافة إلى سكنهم في مناطق مختلفة وتعدد انتمائهم القبلي. وقد جرت في تلمسان عادة الاحتفال بالمناسبات والأعياد الدِّينيّة والرسمية، وتشمل الاحتفالات جميع طبقات المجتمع وأهمها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وهم أهم احتفال رسمي وشعبي بدأ في تلمسان في عهد السلطان أبي حمو موسى الثّاني، إلى جانب الاحتفال بختم القرآن أو جزء منه، الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى، الاحتفال بتدشين مؤسَّسة أو مدرسة أو مسجد، العروض العسكريَّة، سباق الخيل، الاحتفال بميلاد الأطفال. وعرف المجتمع الزياني تكافلًا اجتماعيًا بين أفراده، ومن صوره انتشار الأوقاف التي وفرت الرعاية الاجتماعية للفقراء واليتامى والمرضى، وقام بالحبس السلاطين والعامَّة، فقد احبس السلطان أبو حمو موسى الثّاني على المدرسة التي بناها وسماها المدرسة اليعقوبيَّة ووضع الجرايات لها، وأحبس السلطان محمَّد بن موسى بن زيان عدَّة أحباس على مدرسة ومسجد بمدينة تلمسان سنة 796هـ/1393م، وهناك حبس المساجد أو الحبس لأفراد الأسرة، فقد حبس رجل من تلمسان ريعًا له على أولاده الثلاثة وعلى ذريتهم من بعدهم ما تناسلوا[1].

– الحياة الاقتصادية:

جعلت الظروف الطبيعية من تضاريس ومناخ إمارة تلمسان منطقة فلاحية يتنوع فيها الإنتاج حسب نوعية التربة وكمية الأمطار، ومن أهم منتجاتها الحبوب، ومنها القمح الذي تركز زراعته حول تلمسان في سهل تاسالا الذي كان يوفر وحده تقريبًا حاجة سكان المدينة وكذلك سهل البطحاء

1- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **المرجع السَّابق**، ص138 وما بعدها.

وحول وادي سيق وسهلي تنس ومتيجة. والشعير الذي يزرع في السهول الداخلية والمنحدرات السفلى وهوامش الصحراء، واهم منطقة لإنتاجه هي سهل إيسلي. ومن منتجات الزيانيِّين الزراعية أيضًا زيت الزيتون والتين المجفف والعنب والذي زرع حول ضفاف نهر الشلف وفي المرتفعات الشمالية، واهتمت الدَّولة بتربية النحل التي تتركز حول وهران، وبتربية الحيوانات مثل الخيل والغنم والبقر والماعز وغيرها[1].

ازدهرت الصناعة في العهد الزياني خاصةً الصناعة النَّسيجيَّة لتوفر الصوف الذي فاض انتاجه عن الحاجة المحلية، وقد صنع الزيانيون البرانس، الأقمشة، الزرابي، الحياك أي الحنابل والأكسية، كما صنعوا الأنسجة القطنية في ندرومة ومستغانم وهنين، وصنعوا الحُلي من النحاس والفضة والذهب وتتمثل في القلادات والأقراط والأساور، وصنعوا بعض الأسلحة كالمهماز والدرع والسيف وغيرها، كما صنعوا بعض الآلات الزراعية كمناجل الحصاد وسكك الحرث، وبعض الأدوات المنزلية كالقدور والسكاكين وغيرها[2].

نشطت التجارة الداخلية والخارجية في العهد الزياني كثيرًا عن طريق البر والبحر، وقد تعاملت تلمسان تجاريًا مع بلاد المغرب والمشرق الإسلامي والأندلس وبلاد السودان الغربي وجمهوريات ومدن أوروبا الغربية. وقد صدرت تلمسان القمح عن طريق ميناء وهران إلى مرسيليا، ومن هُنين إلى المرية ومنها تحمل برًا إلى غرناطة، كما كان يمثل جزءًا هامًا من حمولة السفن المتوجهة إلى برشلونة وميورقة كما نُقل القمح برًا من تلمسان إلى سجلماسة ومنها تحمله القوافل إلى بلاد السودان الغربي، كما صدرت تلمسان الشعير إلى مرسيليا وبرشلونة. كما صدرت تلمسان زيت الزيتون والتين المجفف والزبيب إلى إيطاليا وجنوب أوروبا وبلاد السودان الغربي، والتمور كانت تُسوَّق أيضًا إلى أوروبا خاصةً إلى مملكة أراغون شمال الأندلس، وباعت تلمسان الخيل لأوروبا وبلاد السودان الغربي، والجمال لبلاد السودان الغربي، واستوردت فرنسا، إيطاليا، ميورقة، قطالونيا وغيرها من الدول الأوروبية من تلمسان

1- لطيفة بشاري (بن عميرة): **العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م)**، منشورات وزارة الشؤون الدِّينيَّة والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م، المؤسَّسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011م، ط1، ص196 وما بعدها.

2- لطيفة بشاري (بن عميرة)، **المرجع السَّابق**، ص203 وما بعدها.

الصوف والجلود، والمنسوجات الصوفية والقطنية، والكتان، الحرير، العسل، المرجان، والتوابل الذي يجلب من بلاد المشرق الإسلامي ويسوق إلى أوروبا عن طريق تلمسان. أمَّا المادرات فقد استوردت الدَّولة الزيانيَّة الذهب والعبيد وريش النعام والعاج من مدن بلاد السودان الغربي غانة، السينغال، مالي، أودغست، غاو، تمبوكتو، وغيرها، واستوردت النحاس من غرناطة، والأسلحة المتمثلة في الخوذات والرِّماح والدروع وغيرها من إيطاليا وألمانيا، والخشب والزجاج من البندقية، واشترت السفن من البندقية وجينوة، والأقمشة والأغطية القطنية والكتانية والصوفية من إيطاليا وإنجلترا. ونشير إلى أنَّ اليهود والنَّصارى قاما بدور هام في التجارة بين مدن المغرب والمشرق الإسلاميَّين والأندلس ومدن أوروبا الغربية، وقد وفرت لهم إمارة بني زيان الظروف الملائمة لممارسة التجارة، وعلى سبيل المثال فقد كان التجار المسيحيون ينزلون في الفنادق الخاصة بهم ويمارسون عملهم بحرية تحت إشراف قناصلهم[1].

– الحياة الفكرية:

ظهرت حركة علمية نشطة داخل تلمسان في العهد الزياني، ويتضح ذلك من خلال ظواهر علمية متعددة، منها انتشار معاهد التَّدريس من مساجد ومدارس، وظهور عدد كبير من العلماء داخل المدينة على مدى ثلاثة قرون عملوا خلالها على نشر علومهم داخل المدينة ومدن المغرب والأندلس ومدن المشرق، ظهور عدد من المؤلفات لعلماء المدينة، تنوع العلوم المتداولة داخل المدينة من علوم عقلية ونقلية شملت بمحتواها جميع العلوم المعروفة بتلك الفترة، انتشار المكتبات العامَّة والخاصة، ظهور فنادق من علماء تلمسان أخذت صفة التَّعميم على مستوى المغرب والأندلس. وقد شجع السلاطين الحركة الثقافية داخل تلمسان من خلال طرق متعددة منها بناء المدارس الخاصة للتَّدريس وبناء منازل للمدرسين والطلاب قرب المدارس، تعيين الجرايات للمدرسين والطلاب مثل تخصيص السلطان يغمراسن للعالم التنسي سنة 666هـ/1267م إقطاعات بنواحي تلمسان حتَّى يصرف على نفسه، بحث السلاطين الزيانيون على المدرسين الأكفاء ومحاولة استقطابهم للتدريس في

1– لطيفة بشاري (بن عميرة)، **المرجع السَّابق**، ص57 وما بعدها.

تلمسان مثل قيام السلطان أبا حمو موسى الثاني بمحاولة استقدام العلامة عبد الرَّحمان بن خلدون، وقد أرسل شقيقه يحي لخدمة الدَّولة الزيانية، مشاركة السلاطين للعلماء بالاحتفالات والأعياد والمناسبات وإجراء المسابقات الثقافية وخاصةً الشعرية مع العلماء. وقد أدى تشجيع السلاطين الزيانيِّين للعلماء لتطور التَّعليم الذي انتشر داخل مدن وقرى الدَّولة الزيانية وبالأخص تلمسان التي كانت محط أنظار معظم العلماء والفقهاء والأدباء في أرجاء المغرب الأوسط، ومرَّ التَّعليم بعدة مراحل، فالمرحلة الأولى يتعلم فيها الطالب القراءة والكتابة والخط وحفظ أجزاء من القرآن الكريم وتجويده وتتم داخل الكتاتيب وبعض المساجد غير المشهورة ويكون عدد الطلبة كثير، والمرحلة الثانية يدرس فيها الطلبة علوم النحو واللغة والأدب والفقه وتتم داخل المسجد أو المدارس أو الزوايا ويكون عدد الطلبة أقل من المرحلة الأولى، أما المرحلة الثالثة يركز الطالب فيها على فرع معين من العلوم والآداب وتكون الدراسة في المدارس أو المساجد المشهورة مثل الجامع الأعظم في تلمسان ويقل عدد الطلبة فيها عن المرحلة السابقة. لقد استفادت الحياة العلمية في تلمسان من هجرة علماء الأندلس إليها أثناء المد النَّصراني نحو المدن الأندلسيَّة، فقد حمل العلماء المهاجرون علومهم وآدابهم وفنونهم إلى تلمسان وغيرها من حواضر المغرب، وقاموا بتنظيم حلقات العلم والدروس داخل مساجد ومدارس المدينة المشهورة مثل المسجد الجامع الذي أصبح يوازي جامع الزيتونة والقيروان. وقد درس بتلمسان العلوم النقلية والعقلية وبرز العديد من العلماء في الصنفين، ومن أبرزهم في العلوم الدِّينيَّة أبو إسحاق إبراهيم بن خلف بن عبد السَّلام التنسي، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بن مرزوق وغيرهما، ومن العلماء الذين برزوا في العلوم العقلية محمَّد بن إبراهيم العبدري التَّلمساني أبو عبد الله محمَّد النجار الذي برز في علم النحو والفلك، أبو عبد الله بن أحمد الحباك الذي اشتهر بعلم الفلك والحساب والفرائض وغيرهم. ونشير إلى أنَّ الحركة الثقافية التي ظهرت في تلمسان لم يقتصر أثرها على الداخل بل تعداها لتشمل إلى المغرب والأندلس والمشرق الإسلامي[1].

– العلاقات الخارجيَّة:

1– بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **المرجع السَّابق**، ص221 وما بعدها.

كانت العلاقة بين الزيانيِّين والمرينيِّين في المغرب الأوسط عدائية، لم تشهد طيلة قيام الدَّولة المرينيَّة في بلاد المغرب سوى فترات قليلة جدًا من السَّلام، وفي أغلب الأحوال كان ذلك السَّلام مفروضًا على بني زيان فإن ما واتتهم الفرصة لنقضه سارعوا إلى ذلك وعادوا بالعلاقات إلى جو العداء، وقد بدأ العداء قبل قيام الدَّولة المرينيَّة سنة 668هـ/1269م إثر تحالف الزيانيِّين مع الموحِّدين ضدَّ المرينيِّين. واستفحل الصراع بين الدَّولتين سنة 669هـ/1270م عندما حاصر المرينيون تلمسان وألحقوا أضرار بالغة بنواحيها، ثمَّ عادت الدَّولتين للصلح ولكن سرعان ما تمَّ نقضه لما تحالف الزيانيون مع بني الأحمر في الأندلس ضدَّ المرينيِّين. كما تفاقم العداء أكثر فأكثر بين الدَّولتين في سنة 737هـ/1336م حينما قام السلطان أبو الحسن المريني بغزو شامل للمغرب الأوسط وتمكن من احتلال تلمسان وقتل السلطان أبي تاشفين وتلاشت دولتهم وأصبح المغرب الأوسط إقليمًا من أقاليم الدَّولة المرينيَّة، ثمَّ أعاد الزيانيون إحياء دولتهم سنة 749هـ/1348م باستيلائهم على تلمسان بعد مبايعتهم لعثمان بن عبد الرَّحمان بن يحي بن يغمراسن، واستمر بعد ذلك الوضع على حاله حيث استمر العداء بين الدَّولتين ولكن تتخله فترات من السِّلم والموادعة، وبعد وفاة السلطان المريني أبي عنان ظل الزيانيون على أعدائهم لبني مرين حتَّى سقوط الدَّولة الزيانيَّة[1].

أمَّا علاقة الزيانيِّين ببني نصر في الأندلس فقد كانت علاقة حسنة، وتوثقت العلاقة بينهما في جميع المجالات من سياسية وعسكرية واجتماعية وثقافية واقتصادية، ففي الجانب السِّياسي شهدت العلاقة جوانب متعددة منها لجوء الدَّولة الزيانية إلى إبعاد المعارضين لها إلى الأندلس، ودعم بنو الأحمر للسلطان أبا حمو موسى الثاني سياسيًا وعسكريًا، وبالمقابل دعم الزيانيون أيضًا بني الأحمر في حروبهم ضدَّ النَّصارى الصَّليبيِّين وكانت المساعدة على شكل أحمال من الذهب والفضة والخيل المسومة والمراكب المشحونة بالزرع، كما سمحت للأفراد على شكل جماعات الذهاب إلى الأندلس بدافع الجهاد في سبيل الله، وتوثقت أيضًا العلاقة بتبادل الهدايا والتهاني بين زعماء الدَّولتين، وباستقبال الدَّولة الزيانية سكان الأندلس المهاجرين في مدن وسواحل المغرب الأوسط، منهم من

1- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص216 وما بعدها.

اشتغل مناصب مهمة في الدَّولة كالوزارة والحجابة وخاصةً في عهد السلطان أبي حمو موسى الأوَّل، ومنهم العلماء الذين تولوا مهام التَّدريس في مساجد ومدارس تلمسان وغيرها من المدن الزيانية، وتوثقت أيضًا العلاقة الاقتصادية بين الدَّولتين فكانت الدَّولة الزيانية تمد المساعدة للمسلمين في الأندلس عند تعرضهم لبلاء أو مجاعة وتمدهم بالمال والغذاء، ففي سنة 763هـ/1362م قدمت الدَّولة الزيانية لأهل الأندلس ما مقداره خمسين ألف قدح من الزرع وثلاثة آلاف دينار من الذهب[1].

أمَّا علاقة الزيانيِّين بدولة المماليك في مصر فقد كانت طيبة، فلم يمنع البعد الجغرافي بين مصر وتلمسان من قيام علاقات تنوعت بين الجانب السِّياسي والثقافي والاقتصادي ورابطة الحج على اعتبار أنَّمصر تقع على طريق حج المغاربة، وقد تبادل السلاطين الزيانيون والمماليك الرسائل والهدايا، فقد تبادل السلطان الزياني أبو تاشفين عبد الرَّحمان الأوَّل الرسائل مع السلطان المملوكي الناصر سنة 725هـ/1325م، وبعث السلطان أبو زيان سنة 799هـ/1397م إلى السلطان المملوكي برقوق ثلاثون رأسًا من الخيول العتاق، وذلك لما تمتاز به من الشدة والسرعة الصبر على المصاعب. كما قصد طلبة العلم التِّلمسانيِّين القاهرة لزيادة معارفهم العلمية، وهناك من عاد إلى وطنه وهناك من بقي في مصر للتَّدريس، حتَّى أنَّ بعضهم تقلد مناصب في الدَّولة المملوكية. وفي الجانب الاقتصادي تبادلت الدَّولتين السلع عن طريق موانئ هُنين وشرشال والجزائر وموانئ مصر وخاصةً الإسكندرية[2].

عنوان المحاضرة: الدَّولة المرينيَّة في المغرب الأقصى

– نشأة الدَّولة:

بنو مرين يعودون بأصلهم إلى قبيلة زناتة وكانوا يسكنون المنطقة الجنوبيَّة من تلمسان، وقد وقف بنو مرين إلى جانب الموحِّدين في بداية الأمر وحكموا باسمهم ثمَّ لما ضعف أمر الإمارة الموحِّديَّة

1- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **المرجع السَّابق**، ص120 وما بعدها.

2- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **المرجع السَّابق**، ص124-125.

انتفضوا عليها، وأثاروا عدَّة فتن وحروب وشنوا عددًا من الغارات على أطرافها، واقتحموا تلال مراكش عام 610هـ/1213م وانتشر نفوذهم بفضل الأمير أبي يحي بن عبد الحق الذي احتل مدينتي فاس ومكناس واتخذهما مركزًا لنشاطهم حتَّى تمكن أميرهم أبو يوسف بن عبد الحق من احتلال مراكش عام 668هـ/1269م فانتهى بذلك عهد الموحِّدين وبرزت إمارة بني مرين وتلقب يوسف بأمير المؤمنين[1].

وقد اتخذ المرينيون من فاس عاصمةً لدولتهم، واتبعوا كغيرهم من حكام بلاد المغرب النظام الوراثي، إذ كان يشترط في السلطان أن يكون منتميًا إلى البيت المريني الحاكم، وكثيرًا ما كان السلطان الجديد ابنًا أو حفيدًا أو أخًا للسلطان المتوفي، واستعاد المذهب السني المالكي مكانته التي كان عليها قبل ظهور دولة الموحِّدين، وكان سلاطين بني مرين أنفسهم يهتمون بفهم هذا المذهب. وكان مجال دولتهم الجغرافي يشمل كامل بلاد المغرب الأقصى واتسع أحيانًا وشمل أجزاءً من بلاد المغرب الأوسط، وتقلص أحيانًا أخرى إثر الحروب بينهم وبين جيرانهم الزيانيِّين والحفصيِّين، وقد عمَّرت الدَّولة المرينيَّة زهاء مائتي عام إلى أن سقطت على يد الوطاسيِّين سنة 869هـ/1465م[2].

– الحياة الاجتماعيَّة:

شكل البربر السواد الأعظم في البناء الاجتماعي للمجتمع المريني، فمنهم كانت الطبقة الحاكمة التي تنتمي إلى قبيلة زناتة، كما ضمَّ المجتمع عددًا من الأندلسيِّين منهم جند ومنهم العلماء، بالإضافة إلى العرب الذي ضمَّ الجيش المريني كثيرًا منهم، وارتبطت الأسرة المرينيَّة الحاكمة ببعض القبائل العربية برباط النسب، إلى جانب هؤلاء توجد عناصر سكانية أخرى تمثل أقليات صغيرة من الأتراك الغز، والروم (النَّصارى) الذين انضم معظمهم للجيش المريني، واليهود الذي كان لهم دور كبير في الحياة السِّياسيَّة والاقتصادية في الدَّولة المرينيَّة حيث وصل بعضهم إلى أرفع مناصب الدَّولة، فكان

1- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص206.

2- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص181 وما بعدها.

خليفة بن حيون بن زمامة حاجبًا للسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني. ويغلب على البلاط المريني طابع البداوة في مطلع قيام الدَّولة، ثمَّ تطور بالتَّدريج وأصبح أكثر بهرجة، ويأتي السلطان في البلاط المريني في قمة الهرم، ومن بعده الوزراء الذين كانوا عادة من بني مرين أو من القبائل العربية الكبرى، ثمَّ يأتي قادة الجند وكبار موظفي الدَّولة، وآخر درجة في البلاط كانت تشمل الخدم وغالبهم كان من الرقيق. ويشارك السلطان المريني في الاحتفالات والمناسبات وكان يظهر أمام النَّاس للمشاركة الفعلية فيها أو بالتجمع لرؤيتها والتمتع بها ومنها الاحتفال باستقبال وفود الدول، الاحتفال بسفر السلطان، الاحتفال بالمولد النبوي، صلاة العيد، والأفراح. وقد اختص السلطان المريني لنفسه بلبس البرنس الأبيض الرفيع، أما الزي العسكري للسلطان والأشياخ وعامة الجند في سائر الأيام يتمثل في عمائم طويلة قليلة العرض مصنوعة من الكتان مع إحرامات يلفونها على أكتافهم وكانت تغلب عليهم الطبيعة البدوية، أما العلماء وأهل الصلاح فإنهم يلبسون البرانس الملونة، أو البيضاء أحيانًا، أما ملابس القضاة والعلماء والكتاب وعامة النَّاس فقريبة الشبه من زي الجند إلَّا أنَّهم يضعون على رؤوسهم العمائم الخضراء، أما الفقراء كالأيتام فإنَّهم كانوا يلبسون قمصانًا ويربطون على هذه القمصان الأحزمة، وفي كثير من الأحيان كانت الدَّولة توفر لهم هذا الكساء كل عام[1].

– الحياة الاقتصادية:

ازدهرت الزراعة في العصر المريني بفضل ما تمتع به المغرب الأقصى من دعائم لازمة للزراعة، وأهمها تنوع المناخ، وجودة التربة، وفرة مصادر المياه والتي تتمثل في الخصوص في الأنهار كنهر ملوية، سبو، وورغة، ونهر بَهْتا الذي يقع بين مكناسة وسلا، ونهر أم الربيع، وأبو الرقراق ونهر السوس الأقصى ونهر تانسيفت، ونهر شَفْشَاوَة، وهذه الأنهار كلها لا يقل ماؤها ولا ينقطع شتاءً ولا صيفًا[2] بالإضافة إلى الأودية الصغيرة ومياه الأمطار، وكل هذه الدعائم كان لها أثر كبير في تنوع المحاصيل والثمار وقد ساهم سلاطين بني مرين في ازدهار الزراعة حيث أقطعوا كبار رجال الدَّولة الإقطاعات

1- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص317 وما بعدها.

2- المراكشي، **المُعجب**، ص262-263.

الزراعية كالقضاة وقادة الجيش فساهم ذلك في زيادة الإنتاج وبالتالي رخاء البلاد. ومن المحاصيل الزراعية التي توفرت القمح والفول والشعير والقطن والزيتون وقصب السكر والسمسم والقنب وسائر البقول، كما زرع المرينيون الخضر والفاكهة والأزهار والرياحين مثل الورد، البنفسج، الياسمين، الآس، النرجس، السوسن والبهار، وكان لكثرة الأزهار والرياحين أكبر الأثر في وفرة محصول عسل النحل. واهتم المرينيون بتربية الحيوانات الأليفة كالخيل، البغال، الحمير، الإبل، البقر والغنم، وبتربية الدواجن والطيور ومنها الدجاج والحمام والأوز[1].

مثلت الصناعة في الدَّولة المرينيَّة نشاطًا من الأنشطة الاقتصادية الهامَّة، وممَّا ساعد على قوتها وازدهارها أنَّ الموحِّدين خلفوا لهم قاعدة صناعية كبيرة في فاس وغيرها من المدن، وكذلك توفر المواد الخام اللازمة للصناعة مثل الحديد والنحاس والفضة ومواد البناء من الجبس والصلصال وأنواع الحجارة والرمال. كما كانت هناك الأصداف الثمينة المستخرجة من نهر فاس والتي استخدمت في صناعة أدوات الزينة، وكذلك الياقوت المستخرج من جبل هزرجة بالقرب من أغمات، كما توفرت أيضًا أخشاب الأرز التي استعملت في صناعة الفحم. ومن الصناعات التي ازدهرت في العصر المريني صناعة عصر الزيتون واشتهرت فاس بها، وصناعة السكر التي انتعشت في المناطق التي تجود فيها زراعة قصب السكر في سلا ومراكش، كما نشطت في العصر المريني بعض الصناعات الدقيقة، كصناعة الساعات والاسطرلابات، والصناعات الحربية حيث استخدم الجيش المريني أحدث أسلحة العصر، ويعتقد أنَّ المرينيِّين كانوا روادًا في استعمال البارود، ومن الأسلحة التَّقليديَّة السيوف، الرماح، الدِّرق، المجانيق، العرادات، والآلات المختلفة التي تستخدم في عمليات الحصار، كما صنعوا الأزياء العسكرية اللازمة للقادة والجند، والأعلام والطبول[2].

انعكست حالة الأمن والاستقرار التي سادت الدَّولة المرينيَّة على نشاطها التِّجاري، وقد حرص سلاطين بني مرين على توفير الأمن، وتأمين طرق المواصلات بين مدن الدَّولة، وعلى توفير

1- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص288 وما بعدها.

2- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص284 وما بعدها.

أماكن للنَّشاط التجاري أي الأسواق الداخلية، وحرصت على توفير الأسواق الخارجية أيضًا لتسويق منتوج المرينيِّين. فالبنِّسبة للتجارة الداخلية فقد جرت العادة في المغرب أن تختص كل صناعة بسوق، وكل سوق بصناعة، وغالبًا ما تكون الأسواق حول المساجد، فهناك سوق الشَّماعين وسوق العطارين والطيِّبين (باعة البخور) لوجوب التعطر والتبخير بالجوامع، وسوق الكتبيِّين لأنَّ المساجد كانت مدارس ومعاهد للثقافة والعلم، وكانت هناك الأسواق الخاصة ببيع الأقمشة والملابس أطلق على هذا النوع من الأسواق القيسارية، وإلى جانب هذه الأسواق كانت هناك الحوانيت كحوانيت القصابين والصباغين والخياطين وحوانيت الأطعمة الجاهزة وغيرها. واهتم ولاة الأمر وخاصةً بمدينة فاس بإقامة الفنادق وتجديدها لأهميتها الاقتصادية، فهي موضع إقامة التجار والغرباء ممَّن لهم أثر كبير في الحركة التجارية، فضلًا عن هذه الفنادق كانت مخازن لمختلف أنواع السلع والتجارات. وفيما يخص التجارة الخارجية فقد كانت تجارة المرور هي أهم أنشطة التجارة الخارجية في الدَّولة المرينيَّة، حيث استفادت الدَّولة مبالغ كثيرة من الضرائب التي كانت تفرضها على هذا النوع من التجارة، ومن جانب آخر جنى التجار المرينيون منها أرباحًا وفيرة، فكان هؤلاء التجار المرينيون يحملون الذهب والصمغ من بلاد السودان الغربي إلى أسواق الأندلس ومنها إلى أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط. ومن أهم المنتوجات التي صدرت على أوروبا المنسوجات الصوفية والجلود، وكانت السفن التجارية على اختلاف أحجامها وجنسياتها تتردد بين موانئ المغرب الأقصى وبين المرية قاعدة الاتصال الاقتصادية بين أوروبا وبلاد المغرب، واستورد المرينيون من الأندلس آلات الحديد والأحواض الرخامية المصنوعة في المرية، وكانت الثياب الثمينة والحلي هي أهم ما تحمله قوافل الحج من المنتجات المرينيَّة إلى المغرب الأوسط وإفريقية وطرابلس الغرب ومصر والحجاز[1].

– الحياة الفكرية:

شهد المغرب الأقصى في عهد المرينيِّين حصاد قرنين من المجهودات العلمية بفضل جهود المرابطين والموحِّدين في مجالات الثقافة والعلم والأدب، وما أن جاء المرينيون حتَّى انطلقت الحياة

1- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص292 وما بعدها.

الفكرية في عهدهم إلى آفاق أرحب وأوسع، أتاحت للعقلية المغربية مزيدًا من النضوج، وقد دعم سلاطين بني مرين انطلاق الحياة الفكرية في عهدهم بدعائم أهمها:

– أنَّ سلاطين بني مرين لم يقيموا دولتهم على أساس أفكار دينية، وعلى هذا الأساس لم يفرضوا على العلماء في دولتهم أن يتقيدوا بوجهة نظر عينة.

– احتضنت سلاطين بني مرين في مجالسهم العلماء على اختلاف مستوياتهم، وآرائهم وأفكارهم، بل لقد سمح المرينيون في كثير من الأحيان بتدريس آراء الموحِّدين في مدارسهم احترامًا منهم لحرية الفكر.

– أنَّ المرينيِّين أوجدوا في المغرب الأقصى أكبر قاعدة فكرية وثقافية قامت في بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي، وتمثلت هذه القاعدة في ذلك العدد الضخم من المدارس العالية المتخصصة التي انتشرت في أنحاء المغرب الأقصى على نحو لم يسبق له.

– لم يضع سلاطين بني مرين أمام العلماء المغاربة وغيرهم من علماء الأندلس وأدبائهم المهاجرين إلى المغرب الأقصى تحت وطاة الزحف النَّصراني على ممتلكات المسلمين في الأندلس أية عوائق، تعوق اقامتهم في ربوع الدَّولة المرينيَّة، والتمتع بكل المميزات التي يتمتع بها أقرانهم من العلماء المرينيِّين، بل لقد انضم كثير من هؤلاء العلماء إلى مجالس سلاطين بني مرين العلمية، وشغل بعضهم مناصب كبرى في الدَّولة المرينيَّة كابن خلدون وابن الخطيب وابن الأحمر وابن رضوان وابن مرزوق وابن جزى والمقري وغيرهم من العلماء الذين تفيئوا ضلال بني مرين. وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى تطعيم الحركة الفكرية في العصر المريني برصيد هائل وضخم من الثقافة الأندلسية المتنوعة.

واستطاع بنو مرين بهذه الدعائم تنمية الحركة الفكرية، وتعميق جذورها في المغرب الأقصى حتَّى أصبحت فاس عاصمة للفكر في بلاد المغرب إلى جانب كونها العاصمة السِّياسية للدَّولة. وقد عمرت مجالس سلاطين بني مرين بالعلماء والأدباء والشعراء خاصةً في عهد السلطان أبي الحسن المريني، وشهدت هذه الفترة ازدهار العلوم الدِّينيَّة من تفسير وحديث وفقه، وازدهار العلوم الأخرى كاللغة والنحو، والتَّاريخ والسِّير والرحلات والجغرافيا والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق والطب

وقد دعموا هذه العلوم بإنشاء المكتبات اللازمة لهم، وامتاز العصر المريني أيضًا بظهور عدد كبير من أقطاب التصوف وأساتذته[1].

– العلاقات الخارجيَّة:

يمكن وصف العلاقات بين المرينيِّين وبني الأحمر بأنَّها كانت علاقات يشوبها الحذر والترقب ومرجع ذلك إلى تشكك سلاطين بني الأحمر كثيرًا في نوايا بني مرين وتطلعاتهم في بلاد الأندلس ولذلك كان يغلب على هذه العلاقات التذبذب بين الود المتبادل أو العداء والنفرة في بعض الأحيان. وقد ساعد المرينيون بنو الأحمر في الأندلس لصد النَّصارى خلال اجتياحهم لأراضي المسلمين الباقية في الأندلس مرات عديدة، ولكن حدثت خلافات بين الدَّولتين، لأنَّ بني الأحمر بقوا دائمًا يتوجسون خيفةً من أطماع بني مرين في الأندلس[2].

وبالنِّسبة لعلاقة المرينيِّين بالممالك النَّصرانيَّة قشتالة وأراغون في شمال الأندلس فقد كانت عدائية، وهذا العداء نابع من أنَّ المرينيِّين وبني الأحمر تزعما حركة المقاومة ضدَّ حركة الاسترداد المسيحي بعد سقوط الموحِّدين. وقد خاض المرينيون العديد من المعارك ضدَّ مملكتي قشتالة وأراغون استنفذوا خلالها الكثير من طاقتهم العسكريَّة، ولكنهم استفادوا كثيرًا خصوصًا من الغنائم التي دعمت ثروة دولتهم، علاوة على ذلك أكسبتهم حركة المقاومة هذه مكانة مرموقة في بلاد المغرب وسائر العالم الإسلامي، وكثيرًا ما تخلل ذلك العداء بين المرينيِّين والممالك النَّصرانيَّة في الأندلس فترات من السِّلم حكمتها معاهدات أبرمت بين الطرفين وفي كثير من الأحيان كان بنو الأحمر يمثلون طرفًا ثالثًا في هذه المعاهدات والتي كان بعضها تنص على حرية التجول والمتاجرة بأرض الفريق الآخر[3].

عنوان المحاضرة: دولة بني نصر (بني الأحمر) في الأندلس

1- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص337 وما بعدها.

2- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص227 وما بعدها.

3- محمَّد عيسى الحريري، **المرجع السَّابق**، ص238 وما بعدها.

– تأسيس الدَّولة:

محمَّد بن الأحمر الأوَّل هو الغالب بالله أمير المسلمين الشَّيخ أبو عبد الله محمَّد بن يوسف بن محمَّد بن نصر بن قيس الخزرجي، من ولد أمير الأنصار سعد بن عبادة، وهو مؤسِّس الدَّولة النَّصريَّة تسلم إمارة مدينة أرخونة في رمضان 629هـ/1232م وحاول التَّوسع على مدينتي قرطبة وإشبيلية لكنه فشل، وأمام الشهرة والتأيِّيد اللَّذين تمتع بهما "أبو عبد الله محمَّد بن يوسف بن هود الملقب بسيف الدَّولة وبالمتوكل على الله والمستعين" في الأندلس بعد سقوط دولة الموحِّدين، أعلن محمَّد بن الأحمر دخوله في طاعته في شوال سنة 631هـ/جويلية 1234م واكتفى بإمارته على أرخونة وجيان وضواحيهما، لكن التنافس بين الأميرين استمر خفيفًا إلى أن استولى فرديناندو الثالث ملك قشتالة على قرطبة في جمادى الأولى 633هـ/1236م بمساعدة ابن الأحمر من دون أن ينتبه الزعماء المسلمون، ولما لم يُنجد ابن هود قرطبة والتي كانت تحت إمرته، اهتزت مكانته لدى أهل الاندلس وعلت مكانة ابن الأحمر الذي عرف كيف يستغل الموقف. وكان ابن هود قد ولَّى على مدينة غرناطة عتبة بن يحي المغيلي، وكان خصم ابن الأحمر يامر بسبه على المنابر، وكان ظلومًا جائرًا لذلك ثار أبناء غرناطة بتحريض من ابن أبي خالد أحد أعيان مدينة جيان واقتحموا القصبة وقتلوا عتبة وأعلنوا طاعتهم لابن الأحمر، فدخلها هذا الأخير في رمضان 634هـ/ماي 1237م وجعلها حاضرته ومقر حكمه بدلًا من جيان المهددة باستمرار من قبل النَّصارى. ولما قُتل ابن هود في المرية في ظروف غامضة بعد خيانة واليها له سنة 635هـ/1238م دبت الفوضى في المدينة ممَّا سهَّل دخول ابن الأحمر إليها في شوال سنة 635هـ/1238م. أما مالقة فقد أعلنت ولائها لابن الأحمر في السنة التالية. وقد استطاع محمَّد بن الأحمر الأوَّل أن ينظم شؤون المملكة الفتية فوطَّد دعائمها وراقب مداخيل بيت المال وقضى على الفوضى والفساد. وامتدت حدود مملكته الجغرافية من مدينتي جيان

وبياسة حتَّى البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) وشرقًا حتَّى المرية وغربًا حتَّى مصب الوادي الكبير، ويخترقها في الوسط نهر شنيل والدارو، وفيها جبال سييرا نيفادا وهضاب البشرات[1].

واتبع بنو نصر النظام الوراثي، حيث اقتصر الحكم في نسل محمَّد بن الأحمر الأوَّل، أمَّا مذهبهم فقد كان سنيًا مالكيًا، ويقول ابن الخطيب في هذا الشأن أنَّ أحوال هذا القطر في الدِّين وصلاح العقائد أحوال سنية، والأهواء والنِّحل فيهم معدومة، ومذهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية[2].

وقد عمرت دولة بني نصر أكثر من قرنين ونصف القرن حيث سقطت نهائيًا في يد ملكي قشتالة وأراغون فرديناند وإيزابيلا سنة 898هـ/1492م. وقد أعقب سقوط غرناطة موجة من التعذيب الوحشي الذي حل بمن بقي في البلاد من المسلمين، ولم تنته هذه الموجة إلَّا في القرن السابع عشر الميلادي، بعد أن عذب من المسلمين من عذب، وشرد من شرد، وقتل من قتل، حتَّى لقد ثبت أنَّ جملة من نُفي من مسلمي الأندلس عقب سقوط غرناطة بلغت ثلاثة ملايِّين نسمة[3].

– الحياة الاجتماعية:

التقت في المجتمع الأندلسي في عهد بني نصر عناصر بشرية متعددة أهمها البربر والعرب والمسالمة والمولدون والمستعربون واليهود والصقالبة، ومع تعاقب السنين أصبح من الصعب التمييِّز بين هذه العناصر بشكل واضح لأنَّه وقع اندماج وتعايش ومصاهرة فيما بينها. ولا شك في أنَّ غالبية سكان مملكة بني الأحمر كانت من المسلمين، كما احتضنت المملكة عددًا قليلًا من النَّصارى واليهود. وكان مجتمعًا طبقيًا فيه الأحرار والعبيد وفيه الخاصة والعامَّة، وكانت الخاصة تتمثل في السلاطين والأسرة الحاكمة والوزراء وقادة الجيش وكبار الموظفين وفئة الملاكين للأراضي الزراعية

1- يوسف شكري فرحات: **غرناطة في ظلِّ بني الأحمر (دراسة حضارية)**، دار الجيل، بيروت، 1993م، ط1، ص17 وما بعدها.

2- ابن الخطيب: **اللَّمحة البدريَّة في الدَّولة النَّصريَّة**، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1978م، ص38.

3- عبد اللَّطيف عبد الهادي، **المرجع السَّابق**، ص264.

الواسعة، والتجار الكبار الذين جمعوا الأموال وابتنوا المنازل الفخمة، ويضاف إليهم صغار الملاكين ورجال العلم والأدب. والمعروف أنَّ نفقة الدَّولة استهدفت قبل كل شيء خدمة الفئات النافذة التي مالت إلى البذخ عن طريق القصور ومجالس اللهو والخمر والموسيقى والغناء واقتناء الجواري والغلمان. وكانت العامَّة تتألف من الحرفيِّين الصغار ومن العمال والأجراء والعاطلين عن العمل والعبيد، وهي تكوِّن القسم الأكبر من السكان، ولم تكن حالتهم مرضية بوجه الإجمال، وإن لم تصل حد الزراية. وقد حافظت الأسرة على العادات والتَّقاليد الموروثة، وتمتعت المرأة بحرية نسبية، كما اهتم المسؤولون بالنظافة والصحة العامَّة[1].

– الحياة الاقتصادية:

اهتم سكان مملكة غرناطة بالزراعة فكانت موردًا أساسيًا ومن الدعائم الاقتصادية في البلاد، والذي ساعد على ازدهار الحياة الزراعية أنَّ طبيعة الأرض حوت الكثير من الأدوية والهضاب والسهول الخصبة، فنهر شنيل الذي يعبر البلاد ساعد على وجود بسائط خضراء تتخللها الترع والقنوات وتكثر فيها الخضار والأشجار المثمرة من كل نوع. أمَّا المرج الفسيح غربي العاصمة فهو غني بالحقول الخصبة التي تعطي أكثر من موسمين في العام وينتج ما يفيض أحيانًا عن حاجات المملكة. برع الغرناطيون في فلاحة الأرض وغرس الحدائق فأعطوا الأرض وجهًا باسمًا. وقد نقلوا من المشرق والمغرب أنواعًا من النباتات وغرسوها كالقطن والأرز وقصب السكر والزعفران والنخيل، إلى جانب ما كانت تنتجه بلادهم من محاصيل كالزيتون والتوت والبرتقال والكروم والحبوب على أنواعها. وقد اهتموا بتنظيم قنوات الري وتوزيع المياه بطرق فنية. واهتم الغرناطيون بتربية الماشية كالخيول والأبقار والأغنام، واهتموا بتربية النحل والطيور على أنواعها لاسيما الدجاج والحمام[2].

وصلت الصناعة في الأندلس إلى الذروة ابتكارًا واتقانًا، ولم يستطع المشارقة مضاهاة الأندلسيِّين في حقل الصناعة. وقد حافظ بني الأحمر على مستوى الصناعة وتفردوا بحقول لم يعرف

1- يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، ص89 وما بعدها.

2- يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، ص119 وما بعدها.

أسرارها سواهم، وكانت ثرواتهم الطبيعية كالحديد والنحاس والرصاص والذهب والفضة ومحافر الرخام تمد الصناعة بأسباب الازدهار والتفوق، والمعروف أنَّ كل مدينة في الأندلس تفوقت بنوع من الصناعات، ولمَّا سقطت تلك المدن في يد النَّصارى انتقل قسم من سكانها إلى المناطق الغرناطية حاملين معهم خبراتهم في حقل الصناعة ممَّا أدى إلى ازدهار شمل مختلف الحقول. وقد اشتهرت المملكة النَّصرية بصناعة الأسلحة كالسيوف والخناجر والدروع والرماح، كما صنعوا الأواني المنزلية والصناديق والسلاسل وغيرها، واهتموا بصناعة الصوف والحرير والأقمشة الملونة الممتازة، ودبغ الجلود وصناعة الخزف الذي استعمل في حقل البناء وتزيِّين الواجهات ومداخل القصور، كما ازدهرت صناعة الورق من القطن والكتان وصناعة الزجاج والعطور والحلي، وكان الحرفيون يجتمعون في أحياء خاصة وأسواق تحمل أسماء صناعاتهم كأسواق الحدادين والنجارين والعطارين وغير ذلك[1].

بفعل ازدهار الزراعة والصناعة تنشط التجارة، كما أنَّ التجارة تحرك عجلة الصناعة وتنمي الزراعة، وقد ازدهرت التجارة الداخلية والخارجية في عهد بني نصر، وبيعت الفاكهة بأسعار منخفضة في أسواق مدن المملكة النصرية، فثمن ثمانية أرطال من العنب لا يتعدى الدرهم أو الدرهمين بحسب نوع العنب وجودته، ونصف رطل من الزبدة يساوي ثلاثين درهمًا، وخمسة أرطال من العسل تساوي عشرين درهمًا، ورطل اللحم يباع بدرهم، أما ثمن الملابس والأثاث فقد قدر ثمن الحذاء بثلاثة عشر درهمًا، وثمن المعطف مئة وثلاثون دينارًا، وثمن الطاولة أربعة دراهم. وسجل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ارتفاعًا في ثمن الأرض داخل غرناطة وخارجها فقد تمَّ بيع احد البساتين سنة 833هـ/1429م بثمانمائة دينار ذهبًا. وفيما يخص التجارة الخارجية فقد ساعد موقع غرناطة الجغرافي على رواج تجارتها الخارجية إذ كانت ملتصقة بالعالم الأوروبي ومجاورة للعالم الإسلامي. ولقد عقدت غرناطة مع مملكتي قشتالة وأراغون وبعض جمهوريات وإمارات إيطاليا معاهدات تجارية متنوعة، منها معاهدة بين جينوة والسلطان محمَّد الثَّاني سنة 678هـ/1279م، يتعهد بموجبها السلطان بحماية التجار الجنويِّين وإعطائهم حقوق بناء كنيسة خاصة بهم وفندق وحمام والسماح لهم بممارسة الصيد

1- يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، ص122 وما بعدها.

كما تورد المعاهدة لائحة بالسلع التي يستطيعون المتاجرة بها. وكانت المراكب التجارية تحمل الحرير الخام من مدن المملكة إلى موانئ المتوسط في إيطاليا وفرنسا وأراغون وأفريقيا. وتصدر غرناطة أيضًا اللوز والتين والعنب ويتكفل الجنويون بتصديرها، والمعادن المصنعة والعطور والحلي والزعفران والرخام، وكانت بضائعهم تصل إلى مصر والقسطنطينية وبلاد الشام. أمَّا السلع المستوردة إلى المملكة فكانت متنوعة وأهمها الفلفل والجوز والقرفة والبخور والأصباغ من الشرق، والأرز من بلنسية والزيت من قشتالة والقمح من بلاد المغرب، والرصاص والنحاس والقطن من أراغون وإيطاليا، والسمن والجلود وقطعان البقر والغنم من أفريقيا[1].

– الحياة الفكرية:

عرفت الحياة الفكرية في الأندلس على عهد بني نصر ازدهارًا منقطع النضير، فقد اهتم السلاطين بالتَّربية والتَّعليم حيث تمَّ بناء دور التَّعليم خاصةً في المدن الكبرى كغرناطة ومالقة والمرية ووادي آش، ويتعلم الصغار في المدارس الابتدائية القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وكان معلمو الأندلس يدرسون كتاب سيبويه في النحو بكفاءة جد عالية حيث لم يجد في المغرب معلمًا يدرس بمثل كفاءتهم. وكان طلاب العلم يفيدون على غرناطة من الأقطار المجاورة الإسلامية منها وغير الإسلامية، وكان الإقبال على قصر الحمراء لأخذ العلم شديدًا من قبل أبناء البيت الحاكم. والحدث المهم في تاريخ التَّعليم الأندلسي في تلك الآونة هو بناء المدرسة اليوسفية بغرناطة في عام 750هـ/1349م وقد سميت هكذا نسبةً إلى مؤسِّسها يوسف الأوَّل، كما عرفت بالمدرسة العلمية والمدرسة النَّصرية، وقد بدأت مركزًا للعلوم الدِّينيَّة واللسانيَّة وفيما بعد أصبحت تهتم بأكثر أنواع العلوم المعروفة آنذاك، وقصدها الطلاب من كامل المملكة وبلاد المغرب، وقد درَّس فيها الفقيه ابن مرزوق والكاتب عبد القادر بن سوار المغربي وسواهما. وفي مجال العلوم والطب فقد شهد العهد النصري نهضة شاملة ونبغ من العلماء في حقول الهندسة والرياضيات والفلك والطب وغير ذلك، من هؤلاء نذكر محمَّد بن الرقاح المرسي الذي اشتغل بالهندسة والرياضيات ومارس الطب، وأبو يحي بن رضوان

1- يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، ص124 وما بعدها.

الوادي آشي الذي وضع قصيدة في علم الفلك "المنظوم في علم النجوم" ورسالة في الإسطرلاب، أما الأطباء فقد كثر عددهم واشتهر بعضهم منهم محمَّد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بابن السراج، ويحي بن هزيل التَّجيبي، وأحمد بن علي بن محمَّد بن خاتمة الأنصاري الذي له كتاب "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" ولسان الدِّين بن الخطيب وغيرهم. وتجدر الملاحظة إلى أنَّ النَّهضة الأدبية بلغت ذروتها في القرن الثامن للهجرة وبخاصة في عهد السلطان أبي الحجاج وولده محمَّد الخامس، وقد نبغ العديد من الأدباء والشعراء منهم ابن مرج الكحل، عزيز بن عبد الملك القيسي وسواهما كثير، ومن المؤرخين نبغ علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المعروف بابن سعيد المغربي، وأبو الحسن علي بن عبد الله النباهي وابن الخطيب وغيرهم، ومن الرحالة ابن جُبير، وأبو البقاء خالد بن عيس البلوي وغيرهما. وفيما يخص عمران بني نصر فقد غلب عليه الطابع المدني على الدِّيني إذ لا بروز قوي للمساجد والحصون كما هي الحال في العهود السابقة لاسيما أيام المرابطين والموحِّدين، وما يسترعي الانتباه في العمارة الإسلامية الغرناطية اعتماد البساطة من الخارج مع كثرة الزخارف من الداخل. ومن أبدع أبنية بني نصر في الأندلس وأشهرها على الإطلاق قصر الحمراء الذائع الصيت في مشارق الأرض ومغاربها، وقصر جنة العريف وهو مجموعة من الأبنية والحدائق، وقصر شنيل وغيرها[1].

– العلاقات الخارجية:

كانت علاقة بني نصر بالممالك النَّصرانيَّة علاقة حروب وعداء شديد، وقد حدثت حروب عديدة جدًا بين الطرفين، وبالرغم من تحالف الممالك النَّصرانيَّة على إسقاطها خاصةً مملكتي قشتالة وأراغون إلَّا أنَّ مملكة غرناطة استطاعت المقاومة والصمود ورد ما يعرف بحروب الاسترداد في الأندلس، ومن أهم أسباب صمودها لأكثر من قرنين ونصف القرن نذكر:

– بُعد مملكة غرناطة عن متناول الممالك النَّصرانيَّة.

– الوازع الدِّيني المتمثل في الجهاد في سبيل الله الذي التزم به سكان هذه المملكة.

1– يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، ص133 وما بعدها.

- استطاعت مملكة غرناطة أن تدرب سكانها على حمل السلاح والتهيؤ باستمرار لملاقاة العدو.

ونشير إلى أنَّ علاقة العداء ليست وحدها التي ميزت العلاقة بين الطرفين، بل كانت هناك علاقة السِّلم بإبرام الطرفين المتحاربين للهدنة، ونذكر على سبيل المثال الهدنة التي حدثت زمن السلطان النَّصري يوسف الثالث (810-820هـ/1408-1418م) مع مملكة قشتالة لوقف الحرب لمدة سنتين، وعندما أراد الغرناطيون تجديدها رفض القشتاليون ذلك. ولقد استمرت الحروب بين الطرفين المتخاصمين خاصةً عندما بدأ الضعف يدب في مملكة بني الأحمر إلى أن سقطت نهائيًا في يد النَّصارى سنة 898هـ/1492م[1].

- خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي والأندلس في العصر الوسيط نختم دراستنا بتسجيل الملاحظات التالية:

- الفاتحين المسلمين جاءوا لبلاد المغرب لأجل نشر الدِّين الإسلامي، ولم يكن مجيئهم التماسًا للغنائم كما يزعم المستشرقين ومن يرى رأيهم من المؤرخين.

- ساهم البربر في عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حيث دخلت أعداد كثيرة منهم وخاصةً في عهد الفاتح أبو المهاجر دينار الذي عاملهم معاملة حسنة، والفاتح حسان بن النعمان الذي انضمت إليه جموع كثيرة منهم بعد قضاءه على الكاهنة، وقد تجلى دور البربر أكثر لما فتح طارق بن زياد الأندلس بجيش أغلبه منهم.

- تميز عصر الولاة في بلاد المغرب بالصراع المذهبي والعرقي، وبإتباع بعض الولاة سياسة القسوة والظلم ضدَّ الرعية، مع وجود فترات من السِّلم والرخاء لتميز بعض الولاة بالعدل.

1- عبد القادر قلَّاتي، **المرجع السَّابق**، ص141 وما بعدها.

- ظهور الحركات الخارجية في بلاد المغرب في عصر الولاة، والتي تمكن زعماءها بعد نشاط دعوي وحربي كبير من تأسيس دولتين لهم إحداهما صفرية المذهب وهي الدَّولة المدراريَّة في المغرب الأقصى وأخرى إباضية المذهب وهي الدَّولة الرستميَّة في المغرب الأوسط.

- نشأت دول عديدة في بلاد المغرب بعضها موالي للخلافة العباسيَّة في المشرق مثل دولتي الأغالبة والمرابطين، وبعضها معادي لها مثل الدَّولتين الإدريسَّة والعُبيديَّة (الفاطميَّة).

- توحدت بلاد المغرب تحت سلطة واحدة في عصر الولاة الذي شمل أيضًا الأندلس، ثمَّ انقسمت إلى أربع دول رئيسية المدراريَّة والرستميَّة والإدريسيَّة والأغلبيَّة، وتوحدت من جديد في أواخر القرن الثالث للهجرة في زمن الدَّولة العُبيديَّة، ثمَّ انقسمت من جديد إلى ثلاثة دول وهي الزيريَّة والحمَّاديَّة والمرابطيَّة، ثمَّ توحد من جديد مع دولة الموحَّدين في منتصف القرن السَّادس للهجرة وملك الموحِّدين أيضًا الأندلس، ثمَّ انقسمت البلاد إلى أربع دول رئيسيَّة الحفصيَّة والزيانيَّة والمرينيَّة في المغرب ودولة بني الأحمر في الأندلس.

- عرفت بلاد المغرب العديد من الأحداث التاريخيَّة والسِّياسيَّة البارزة والتي كان لها تأثيرًا بالغًا على على هذه البلاد في جميع الجوانب السِّياسيَّة والدِّينيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والثقافيَّة مثل ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المشهور بصاحب الحمار على العُبيديِّين (الفاطميِّين) سنة (332-336هـ/944-948م)، انتقال الفاطميِّين إلى مصر سنة 362هـ/973م وترك الزيريِّين حكامًا على بلاد المغرب، تخلي الزيريِّين والحمَّاديِّين على المذهب الشيعي وتحولهم للمذهب السني وولائهم للعباسيِّين بدلًا من العُبيدِّيِّين في حدود سنة 440هـ/1048م، وزحف القبائل العربية الهلالية على بلاد المغرب للانتقام من حكامها بإيعاز من الفاطميِّين في مصر في حدود سنة 442هـ/1050م، تغيير الحمَّاديِّين لعاصمة دولتهم من القلعة إلى بجاية سنة 461هـ/1069م وغيرها من الأحداث.

- تمكن المرابطون والموحِّدون من نجدة ما تبقى من الأندلس بعد سقوط طليطلة سنة 478هـ/1085م وهذا بالتَّصدي للنَّصارى الصَّليبيِّين وإيقاف زحفهم الجارف على بلاد المسلمين

وهذا بخوض معارك عديدة معهم مثل معركتي الزّلاقة سنة 479هـ/1086م والأرك سنة 591هـ/1195م.

- الدول القائمة في بلاد المغرب والأندلس عرفت ازدهارًا في جميع الجوانب السّياسيَّة والدِّينيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والثقافيَّة، وقد سرقت حواضر المغرب القيروان، تيهرت، بجاية، فاس، مراكش، وتلمسان وكذلك حواضر الأندلس قرطبة وغرناطة وإشبيلية وغيرها إشعاع الحضارة من حواضر بلاد المشرق الإسلامي وأوروبا.

- يمثل سقوط مدينة غرناطة آخر قلاع المسلمين في الأندلس سنة 898هـ/1492م نهاية للعصور الوسطى الإسلاميَّة وبداية الفترة الحديثة بتعرض سواحل بلاد المغرب للهجومات الأوروبية.

قائمة المصادر والمراجع:

- المصادر التَّاريخيَّة:

- ابن الأبَّار، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1260م): **الحُلَّة السِّيراء**، حقَّقه وعلَّق حواشيه حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

- ـــــــــــ: **كتاب التَّكملة لكتاب الصِّلة**، تحقيق الفريد بل، وابن أبي شنب، المطبعة الشرقيَّة، الجزائر، 1919م.

- ابن الأثير، عز الدِّين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ/1232م): **الكامل في التَّاريخ**، دار صادر للطِّباعة والنَّشر، بيروت، مج9-مج10، 1966م.

- ـــــــــــ: **الكامل في التَّاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، مج2، مج3، 1987م.

- ـــــــــــ: **الكامل في التَّاريخ**، راجعه وصحَّحه محمَّد يوسف الدَّقاق، ط4، دار الكتب العلميَّة، بيروت، مج4، 2003م.

- ابن بلكين، عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس الزيري الصَّنهاجي (توفي بعد 483هـ/1090م): **مذكرات الأمير عبد الله** - أو - **كتاب التِّبيان**، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1988م.

- البيذق، أبو بكر بن علي الصَّنهاجي (توفي أواخر القرن السَّادس الهجري): **أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، ط2، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1986م.

- ابن الخطيب، لسان الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أحمد السليماني (ت776هـ/1374م): **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثَّالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبَّادي ومحمَّد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م.

- ـــــــــــ: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقَّق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمَّد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1394هـ/1974م.

- ـــــــــــ: **اللَّمحة البدريَّة في الدَّولة النَّصريَّة**، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1978م.

- ابن خلدون، عبد الرَّحمان بن محمَّد (ت808هـ/1406م): **تاريخ ابن خلدون** المسمى **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ج4، 2000م.

- ـــــــــــ: **العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج6، 1971م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م): **وَفياتُ الأعيانِ وأنباءُ أبناءِ الزمانِ**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، 1994م.

- الدبَّاغ، عبد الرحمان بن محمد الأنصاري (ت696هـ/1296م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلَّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبُّوح، ط1، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمديَّة، مصر، ج1، 1968م.

- ابن أبي دينار، محمَّد بن القاسم الرعيني القيرواني: **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدَّولة التونسيَّة بحاضرتها المحمية، 1869م.

- الذَّهبي، شمس الدِّين أبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1348م): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السَّلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، مج30، 1994م.

- الرَّقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد سنة 425هـ/ 1033م): **قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، عز الدِّين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت726هـ/1325م): **الأنيس المُطرِب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطِّباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- الزركشي، أبو عبد الله محمَّد بن إبراهيم: **تاريخ الدَّولتين الموحِّديَّة والحفصيَّة**، تحقيق وتعليق محمَّد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

- الشهرستاني، أبي الفتح محمَّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت 548هـ/1153م): **المِلَلُ والنِّحَلُ**، تحقيق أمير علي مهنا، علي حسن فاهود، ط2، دار المعرفة، بيروت، ج1، 1993م.

- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (ت 594هـ/1198م): **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحِّدين)**، تحقيق عبد الهادي التازي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

- الطبري، أبي جعفر محمَّد بن جرير (ت 310هـ/922م): **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، ج4، د.ت.

- ابن أبي الضياف أحمد (ت 1291هـ/1874م): **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق لجنة من كتابة الدَّولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسيَّة للنَّشر، ج1، 1396هـ/1976م.

- ابن عبد الحكم، عبد الرَّحمان بن عبد الله (ت257هـ/871م): **فُتُوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطِّباعة والنَّشر، مصر، ج1، د.ت.

- ابن عذارى المراكشي (كان حيًا سنة 712هـ/ 1312م): **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1983م.

- ـــــــــــ: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، ج2، 1980م.

- ـــــــــــ: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عبَّاس، ط5، دار الثقافة، بيروت، ج4، 1418هـ/1998م.

- ـــــــــــ: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحِّدين**، تحقيق محمَّد إبراهيم الكتاني، ط2، محمَّد بن تاويت، مطبعة النَّجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ج5، 1985م.

- ابن القطان المرَّاكشي، أبو محمَّد حسن بن علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي (توفي في منتصف القرن السَّابع الهجري): **نُظُمُ الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزَّمان**، درسه وقدَّم له وحقَّقه محمود علي مكيّ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

- ابن القوطية، أبو بكر محمَّد بن عبد العزيز القرطبي (ت367هـ/ 977م): **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1989م.

- المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمَّد (توفي بعد سنة 460هـ/1068م): **رياض النُّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسَّاكهم وسيرٌ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**،

حقَّقه بشير البكوش، راجعه محمَّد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1994م.

- مجهول (لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثَّامن الهجري): **الحُلل الموشيَّة في ذكر الأخبار المُرَّاكشيَّة**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرَّشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م.

- مجهول (مؤلف أندلسي عاش في القرن الرَّابع الهجري): **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها**، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1989م.

- مجهول (من أهل القرن الثامن الهجري): **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق وترجمة لويس مولينا، مدريد، ج1، 1983م.

- مجهول (عاش في القرن الثَّامن الهجري): **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطِّباعة والنَّشر، الرباط، 2005م.

- المُرَّاكشي، عبد الواحد بن علي (ت 647هـ/ 1249م): **المُعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط1، منشورات محمَّد علي بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1419هـ/ 1998م.

- المقَّري، أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني (ت 1041هـ/1631م): **نفحُ الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م.

- ابن وردان: **تاريخ مملكة الأغالبة**، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمَّد زينهم محمَّد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988م.

- ابن الوردي، زين الدِّين عمر بن مظفر (ت749هـ/ 1348م): **تاريخ ابن الوردي** - أو- **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ج1، 1996م.

- المصادر الجغرافيَّة:

- الإدريسي، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت 560هـ/1064م): **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1983م.

- ابن جبير، أبو الحسن محمَّد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت 614هـ/1217م): **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، د.ت.

- الحسن الوزان، الحسن بن محمَّد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، (توفي بعد عام 957هـ/1550م): **وصف إفريقيا**، ترجمة محمَّد حجي، محمَّد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1983م.

- الحموي، شهاب الدِّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرُّومي البغدادي (ت626هـ/1828م): **مُعجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م.

- الحِميري، أبو عبد الله محمَّد بن عبد المنعم (توفي في منتصف القرن الثَّامن الهجري): **الرَّوضُ المعطار في خبر الأقطار**، حقَّقه إحسان عبَّاس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.

- ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النَّصيبي (توفي أواخر القرن الرابع الهجري): **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت300هـ/912م): **المسالك والممالك**، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمَّد مخزوم، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ/1988م.

- الزُّهري، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر (توفي في أواسط القرن السَّادس الهجري): كتاب **الجغرافيَّة**، تحقيق محمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدِّينيَّة، مصر، د.ت.

- مجهول (لمؤلف مرَّاكشي من أهل القرن السَّادس الهجري): **الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة أفاق عربية، بغداد، د.ت.

المراجع العربية:

- بن أحمد حوالة يوسف: **الحياة العلميَّة في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتَّى منتصف القرن الخامس الهجري (90-450هـ)**، ط1، جامعة أم القرى، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النَّشر، مكة المكرمة، ج1، 2000م.

- حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

- أرسلان شكيب: **الحُلل السُّندسيَّة في الأخبار والآثار الأندلسيَّة**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج1، د.ت.

- إسماعيل عبد الرزاق محمود: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م.

- إسماعيل محمود: **الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

- بشاري (بن عميرة) لطيفة: **العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م)**، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدِّينيَّة والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م، المؤسَّسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011م.

- بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، ج1، 2007م.

- التَّازي عبد الهادي: **التَّاريخ الدِّيبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الدَّولة الإدريسيَّة**، مطابع فضالة، المحمدية، مج4، 1987م.

- الثعالبي عبد العزيز: **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدَّولة الأغلبية**، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمَّد إدريس، تقديم ومراجعة حمَّادي السَّاحلي،، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

- الجيلالي عبد الرَّحمان بن محمَّد: **تاريخ الجزائر العام**، ط4، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1980م.

- حبيبة علي: **مع المسلمين في الأندلس**، مكتبة الشباب، مطابع سجل العرب، مصر، 1972م.

- الحجي عبد الرَّحمان علي: **التَّاريخ الأندلسي من الفتح حتَّى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)**، ط2، دار القلم، بيروت، 1981م.

- الحريري محمَّد عيسى: **الدَّولة الرستميَّة بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)**، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م.

- ــــــــــــــــ: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م)-(869هـ/1465م)**، ط2، دار القلم للنَّشر والتَّوزيع، الكويت، 1987م.

- حساني مختار: **الحواضر والأمصار الإسلاميَّة الجزائريَّة**، دار الهدى للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، ج1، 2011م.

- حسن محمود منى: **المُسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (92-206هـ-714-814م)**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.

- حُسني الخربوطلي علي: **أبو عبد الله الشيعي مؤسِّس الدَّولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، 1972م.

- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين: **التَّاريخ السِّياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعيَّة، مصر، 2008م.

- حَومَد أسعد: **محنة العرب في الأندلس**، ط2، المؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، بيروت، 1988م.

- خضيري أحمد حسن: **علاقات الفاطميِّين في مصر بدول المغرب (362-567هـ/973-1171م)**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.

- خليفة حامد محمَّد: **يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصَّليبيِّين 400-500هـ= 10091106م**، ط1، دار القلم، دمشق، 2003م.

- درنيقة ريما محمود: **الوجيز في التَّاريخ السِّياسي والحضاري للأندلس**، ط1، المؤسَّسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2013م.

- الدغلي محمَّد سعيد: **الحياة الاجتماعيَّة في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي**، ط1، منشورات دار أسامة، 1984م.

- عبد الرؤوف الفقي عصام الدِّين: **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د.ت.

- زغلول عبد الحميد سعد: **تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ج3، د.ت.

- زيتون محمَّد محمَّد: **المسلمون في المغرب والأندلس**، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م.

- السلاوي، أحمد بن خالد النَّاصري: **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر النَّاصري، محمَّد النَّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج1، 1954م.

- سالم السيد عبد العزيز: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، 2008م.

- شكري فرحات يوسف: **غرناطة في ظلّ بني الأحمر (دراسة حضارية)**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1993م.

- الصَّلابي محمَّد علي: **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، ط1، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتب التابعين، القاهرة، 2001م.

- ـــــــــــــــ: **تاريخ دولتي المرابطين والموحِّدين في الشمال الأفريقي، القسم الأوَّل دولة المرابطين في الشمال الأفريقي**، ط3، دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2009م.

- طقوش محمَّد سهيل: **تاريخ المسلمين في الأندلس 91-898هـ/710-1492م**، دار النفائس، بيروت، 2008م.

- الطمَّار محمَّد: **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2010م.

- عبَّاس نصر الله سعدون: **دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835م**، ط1، دار النَّهضة العربية للطِّباعة والنَّشر، بيروت، 1987م.

- العربي إسماعيل: **دولة بني حمَّاد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، د.ت.

- عمر موسى عز الدِّين: **الموحِّدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.

- عنان محمَّد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأوَّل- القسم الثَّاني- الخلافة الأمويَّة والدَّولة العامريَّة**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

- ـــــــــــــــ: **دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثَّاني- دول الطَّوائف منذ قيامها حتَّى الفتح المرابطي**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

- ـــــــــــــــــــ: **دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثَّالث- عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/1990م.

- ـــــــــــــــــــ: **دولة الإسلام في الأندلس- عصر الموحِّدين**، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، ج5، 2002م.

- عويس عبد الحليم: **إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة ... لا تاريخ**، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995م.

- ـــــــــــــــــــ: **دولة بني حمَّاد صفحة رائعة من التَّاريخ الجزائري**، ط2، دار الصحوة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، دار الوفاء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، المنصورة، 1991م.

- بن قربة صالح وآخرون: **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني للدِّراسات والبحث في الحركة الوطنيَّة وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

- قلَّاتي عبد القادر: **الدَّولة الإسلاميَّة في الأندلس من الميلاد إلى السُّقوط**، ط1، دار وحي القلم، دمشق، 2010م.

- كنون عبد الله: **يوسف بن تاشفين**، ط2، منتدى ابن تاشفين المجتمع والمال، المحمدية، 2004م.

- لقبال موسى: **المغرب الإسلامي**، ط2، الشركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 1981م.

- مؤنس حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، 2004م.

- محمَّد جمال الدِّين عبد الله: **الدَّولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش**، دار الثقافة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1991م.

- مصطفى مسعد سامية: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأمويَّة (300-399هـ/912-1008م)** ط1، **عين للدِّراسات والبحوث الانسانيَّة والاجتماعية**، 2000م.

- المعموري الطاهر: **الغزالي وعلماء المغرب**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1990م.

- النَّجار عبد المجيد: **المهدي بن تومرت – حياته وآراؤه وثورته الفكريَّة والاجتماعيَّة وآثره بالمغرب**، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

- عبد الهادي عبد اللَّطيف: **الأندلس الإسلاميَّة سياسيًا وحضاريًا**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2011م.

المراجع المُعربة:

- أشباخ يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ترجمة وتعليق محمَّد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، 1996م.

- برنشفيك روبار: **تاريخ إفريقيَّة في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، نقله إلى العربية حمَّادي السَّاحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1988م.

- دوزي رينهرت: **المسلمون في الأندلس**، ترجمة وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج3، 1995م.

- روجي إدريس الهادي: **الدَّولة الصَّنهاجيَّة تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ط1، نقله إلى العربيَّة حمَّادي السَّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1992م.

- كولان. ج. س: **الأندلس**، ترجمة لجنة دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم خورشيد وآخرون، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1980م.

- ميراندا أمبروسيو هويثي: **التَّاريخ السِّياسي للإمبراطوريَّة الموحِّديَّة**، ترجمة عبد الواحد أكمير، ط2، منشورات الزمن، المغرب، 2015م.

الرسائل الجامعيَّة:

- البياتي بان علي محمَّد: **النَّشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (3-5هـ/9-11م)**، رسالة ماجستير آداب في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ، 2004م.

- بن الذيب عيسى: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دراسة اجتماعية واقتصادية (448-540هـ)/(1056- 1145م)**، أطروحة دكتوراه في التَّاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التَّاريخ، 2009م.

- صفي الجين محي الدِّين: **الحياة الاجتماعيَّة في الأندلس على عهد الدَّولة الأمويَّة (138-422هـ/755-1031م)**، مذكرة مقدمة لنيل شاهدة دكتوراه العلوم في التَّاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة وهران 1- أحمد بن بلة، كلية العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، قسم التَّاريخ، 2015-2016م.

- شقدان بسام كامل عبد الرزاق: **تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م**، رسالة ماجستير في التَّاريخ، جامعة النَّجاح الوطنيَّة كلية الدِّراسات العليا، قسم التَّاريخ، نابلس، فلسطين، 2002م.

المراجع الأجنبيَّة:

-Jean Brignon et autres : **Histoire du Maroc**, librairie Nationale, Casablanca, 1967.

-E .Lévi – Provençal**: Islam D'occident**, librairie Orientale et Américaine, Paris, 1948, p111.

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....1

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.....2

الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس.....21

عصر الولاة في بلاد المغرب الإسلامي 24

عصر الولاة في بلاد الأندلس.....26

الدَّولة المدراريَّة في المغرب الأقصى.....29

الدَّولة الرستميَّة في المغرب الأوسط.....36

الدَّولة الإدريسيَّة في المغرب الأقصى.....42

الدَّولة الأغلبيَّة في المغربين الأدنى والأوسط.....49
الدَّولة العُبيديَّة (الفاطميَّة) في المغرب الإسلامي.....56
الدَّولة الأمويَّة في الأندلس.....60
دويلات الطَّوائف في الأندلس.....65
الدَّولة الزيريَّة في المغرب الإسلامي.....70
الدَّولة الحمَّاديَّة في المغرب الأوسط.....74
الدَّولة المرابطيَّة في المغرب الإسلامي والأندلس.....82
الدَّولة الموحِّديَّة في المغرب الإسلامي والأندلس.....91
الدَّولة الحفصيَّة في المغربين الأدنى والأوسط.....97
الدَّولة الزيانيَّة في المغرب الأوسط.....102
الدَّولة المرينيَّة في المغرب الأقصى.....109
دولة بني نصر (بني الأحمر) في الأندلس.....115
خاتمة.....122
قائمة المصادر والمراجع.....124
فهرس الموضوعات.....137